موقع فلسطيني:

كتاب

نقد الدين اليهودي

جميل خرطبيل

* * * * *

الفهرس:

1- المقدمة.
2- المنهج.
3- أسطورة العهد القديم.
4- منح اليهود فلسطين أرضاً أبدية لهم.
5- اصطفاء اليهود على البشرية.
6- لا أخلاقية شخصيات العهد القديم.
7- الخاتمة.
8- الملحق الأول " أرض كنعان وعسير ".
9- الملحق الثاني " اليهودية المسيحية ".
المصادر والمراجع.

* * *

www.alkottob.com

المقدمة

في البدء لا بد من القول: إن الإيديولوجية الدينية اليهودية، قامت على فكرة الإله الملتزم بالشعب المميز، والأرض الموعودة، أرض كنعان، كما في نصوص العهد القديم.

واليهود بحسب النص الديني، مدعوون لاحتلال/ لاستعمار/ أرض الغير، أرض كنعان، بالقوة، بعد إفناء أصحابها وأهلها الشرعيين. وذلك لإقامة وطن لهم تحقيقاً لإرادة يهوه. ولتبرير هذا الأمر، طرح الدين الوعد الإلهي، وقضية الإيمان والوثنية (1).

وهذا يعني أن الإيديولوجيا الدينية اليهودية، قامت على اغتصاب حق الآخرين. وعلى أساس هذه النقطة الجوهرية، امتدت/ توسعت/ تعمقت، الديانة اليهودية بهدف تعزيز تلك الفكرة..

وهذا الأمر هو الذي دفعها إلى سرقة ما عند الشعوب الحضارية في المنطقة، لتؤلف كتابها، بما يخدم فكرتها الأس ويدعمها. بل وسلبت شخصيات تاريخية، وأسقطتها على زعماء قبائلها الرعوية، مع تعديلات تشوهت معها معالم الشخصية الأساسية. وحمّلت تلك الشخصيات صفات تتناسب مع فكرة الاغتصاب. كما خلقت شخصيات من خيالها المريض لتنطقها بما تريده عقليتها!!

وبقي اليهود يحملون الإيديولوجيا عبر التاريخ، رابطين أنفسهم بأرض الميعاد. مما أدى إلى توثيق ارتباط الدين بالقومية في عصر نشوء القوميات.

إن اليهودية دين، وليست بإثنية أو قومية. وما تحويل الدين إلى عرق أو جنس أو قومية إلا، زيف يضلل العقول الصغيرة. وقد فعل اليهود ذلك من خلال الفكر الديني، ثم الفكر الاستعماري الصهيوني. فالفكر الاستعماري الصهيوني لم يأت من فراغ!

ومن هذا المنطلق اندمجت اليهودية كدين، في الشعب والعرق والجنس والقومية بشكل مزيف. علماً بأنه، خلال التاريخ، لم تغب فكرة أرض الميعاد عن اليهودي المتدين. ومع أن الكثيرين من اليهود تأقلموا إلى حد ما في المجتمعات التي عاشوا فيها إلا أن قسماً منهم بقوا في الغيتو المنغلق. وعلى سبيل المثال بدأ قسم من اليهود يتأقلم في أوروبا في القرن الثامن عشر، وأخذ يشعر بانتمائه القومي. وظهرت أصوات منهم تقول: إن اليهودية دين وليست بقومية. ولكن التيار الصهيوني الاستعماري الذي ظهر فيما بعد أعاد للدين اليهودي، الجنس/ القومية/ التي لا تنفصل عنه بحسب زعمه (2).

ومن هنا أيضاً ارتبطت اليهودية عبر التاريخ بالحركات الاستعمارية، لأن جوهرها الاستعماري بشكل ما يخدم أحد أطراف الصراع. ونحن نجد في العهد القديم أن الفرس ساعدوا اليهود، على الهجرة إلى أرض كنعان لإقامة دولة/ محمية/ قلعة/ على حساب أرض الشعب الكنعاني. والسبب حتماً/ إن صحت حكاية قورش/ هو، لحماية حدود دولة الفرس الغربية، خلال صراعهم مع مصر، وكرؤيا بعيدة لخطر الإغريق الصاعد نجمهم.

وهذه الإيديولوجيا جعلتهم يعيشون في زيف وخداع دائمين!

www.alkottob.com

فالزيف الأول: الديانة التي لم يقتصر موقفها، على تحديد علاقة الكائن بالميتافيزيقا فقط، إنما تعدت ذلك باتجاه اغتصاب أرض الغير. وعنصرية الإله والشعب.

ثم جاء الزيف الثاني: وهو انتماء اليهودية إلى فلسطين من خلال أساطير العهد القديم، التي جعلت من فلسطين مسرحاً لأحداثها. وهذا ضد العلم والعقل! فلم يثبت تاريخياً أي حدث بالصيغة والشكل والمضمون المطروح في العهد القديم، وكذلك إن كان جرى على أرض فلسطين. وعلى الرغم من كل التنقيبات الأركيولوجية الغربية واليهودية، التي نقبت في طول فلسطين وعرضها، لم تجد البعثات أي أثر يثبت أي حدث أو واقعة!!

فالعهد القديم ساقط تاريخياً وجغرافياً، ولا قيمة علمية له مطلقاً. وعلى الرغم من ذلك تراكمت الأخطاء فجاء:

الزيف الثالث: وهو أن كل يهودي في العالم إنما أصله من فلسطين، أو ارتباطه بوعد يهوه المفتوح.

فهل كل مسيحي في العالم نسبته العرقية، الجنسية، القومية، إلى بيت لحم أو الناصرة (3) ؟! وهل كل مسلم نسبته العرقية، الجنسية، القومية، إلى مكة!؟

وإذا كان مشروع خلق وطن قومي لليهود في فلسطين، قد بدأ منذ عهود قديمة، وحتى العصور الحديثة - مروراً بنابليون بونابرت. ثم البدء بتجسيده على أرض الواقع مع وعد بلفور عام 1917- ، فإنما هذا يعني أن القضية هي، قضية استعمارية!

وما الاستناد إلى النص الديني اليهودي المزيف إلا لإعطائه المشروعية الروحية والعاطفية، للتأثير على العقل اليهودي الساذج، لإقناعه بالمجيء إلى فلسطين لاستعمارها، لتكون في النهاية المخفر الشرطي لحراسة المصالح الغربية في المنطقة ليس إلا!! يقول هرتزل في كتابه عن الدولة اليهودية التي كان يحلم بها كهدف: "سنشكل في فلسطين حصناً لأوربا في وجه آسيا، وسنكون حصناً أمامياً متقدماً للحضارة الغربية في وجه البربرية".

وإذا كانت بؤرة المشروع الاستعماري قد استندت إلى النص الديني، فهذا يعني أن نقد ذاك النص، ينسف شرعية المشروع بكامله. وعندها لن يتبقى إلا الوجه الحقيقي، وهو وجه المستعمر بكل صفاقته ووقاحته.

فكل يهودي على أرض فلسطين هو مستعمر. ولندع التسميات المختلفة "إسرائيلي، صهيوني..." فكل ذلك زيف رابع (4).

فاليهود في فلسطين هم إسرائيليون وهم صهاينة، لأنهم مستعمرون! واليهود في العالم يؤيدون الكيان الإسرائيلي ويقفون إلى جانبه، ويؤيدون استعماره لفلسطين، وغالبيتهم العظمى مع عنصريته وإرهابه وعدوانه وجرائمه، ويمدون له المساعدة بكل أشكالها المادية والمعنوية.

والغرب وأمريكا يقدمان كل ما يطلبه الكيان ويحتاجه وأكثر، لأنه قاعدتهم الاستعمارية، وهم حريصون عليه حرصهم على حماية مصالحهم!!

والزيف الخامس: قضية اللاسامية، وما هي إلا، لتبرير تقديم المساعدات للكيان الإسرائيلي، واحتضان المشروع الاستعماري. وإن عدم الخوض في أي نقاش يمس اليهود تحت شعار "العداء للسامية"، ما هو إلا

www.alkottob.com

لإخماد الأصوات المحتجة على الابتزاز وتجاوزات اليهود وما يفعلونه، وعلى شرعية ما يقدم لهم. فالشعار تغطية للقضية الاستعمارية بغلاف إنساني مزيف.

إن للاستعمار وجوهاً متعددة لإخفاء حقيقته، وهذا أحد الوجوه! والقضية تتعلق بوعي الشعب في الغرب وأمريكا لهذه الحقيقة. وقد برزت أصوات عديدة تكشف زيف شعار العداء للسامية، وكانت تخمدها الأنظمة في الغرب، لأنها ستفضح ارتباطها بالقاعدة الاستعمارية، وستفضح تأثير الصهيونية العالمية عليها.

كما أن قضية سام في الأساس خرافة توراتية في الأنساب، وظفتها الإيديولوجيا اليهودية لخلق رابطة لليهود بفلسطين.

إن الشعوب القديمة في المنطقة ليست بسامية (5)، ولم يكن لليهود أو اليهودية أي انتماء للمنطقة أو شعوبها.

ولقد تبنى الغرب قضية السامية لأنها تخدم مصالحه, بل سن قوانين لحمايتها. ولنأخذ على سبيل المثال قضية "المحرقة"، وما أثير حولها من جدل، وكان آخرها قصة روجيه جارودي.

وأكثر من هذا فلنسأل: كم من الملايين راحوا ضحية الحرب الأوروبية الثانية، وكم يهودي مات؟! ونحن لا نقول العالمية، لأنها حرب فرضتها القوى الاستعمارية الأوروبية، وجرّت إليها بعض دول العالم. حتى الروس دفعوا إليها دفعاً بعد أن اجتاح هتلر الأراضي السوفيتية، وكان أن مات عشرون مليوناً من الاتحاد السوفييتي السابق! فما المحرقة إلا خرافة أخرى صاغتها الحركة الصهيونية مع النازية، لتشجيع اليهود على الهجرة إلى فلسطين (6)!!

لقد بات ذاك الشعار "العداء للسامية" مبتذلاً لدرجة الاشمئزاز والغثيان! فكل إنسان يتهم بالعداء للسامية إن مس الكيان الإسرائيلي أو اليهودية ولو بنقد صغير (7)!!

ونحن لا نبالي بذاك الشعار الصبياني، الذي يرفعه اليهود والأنظمة الغربية وأمريكا، لأن المحافظة على عدم مسه يعني المحافظة على القاعدة الاستعمارية، والمحافظة على نفوذ الصهيونية العالمية.

هذه الحقائق باتت معروفة - حتى في الشارع الغربي- للواعي والمثقف. فهل اليهودي المضطهد - كما يدعي- قلّت جرائمه في فلسطين والدول العربية، عن جرائم محاكم التفتيش. ثم فيما بعد عن جرائم النازية!؟ أو قلّت عن جرائم أمريكا في فيتنام وغيرها؟! أو قلّت عن جرائم المستعمر الغربي في العالم؟! لا، وألف لا! فاليهودي في فلسطين والدول العربية مارس أبشع وأحط ما تصل إليه سفالات الاستعمار.

ومن هنا نقول: إن اليهودي مثله مثل الآخرين، نقيمه من خلال سلوكه وأخلاقه، والتزامه بالقوانين والمبادئ القائمة على الحق والخير والعدل، والمعترف بها عند الجميع. فليعبد ما شاء حتى لو كان ما يعبده الشيطان أو الوثن. فهذه قضية شخصية لا علاقة لها للحكم عليه. **وصراعنا ضده لأنه مستعمر ولا شيء آخر.**

إن اليهودي المحترم هو الذي يلتزم بانتمائه القومي إلى البلد الذي يعيش فيه، فيندمج في أفراحه وآلامه وتطلعاته وأحلامه (8). كما أنه يسقط من دينه نصوص الشعب المختار والأرض الموعودة. ويعد ذلك خطأً إجرامياً، ارتكبه كاتبو العهد القديم، وحمّلوه اليهود عبر التاريخ كمسلمة دينية. وعليه أن يؤمن بأن

www.alkottob.com

اليهود في فلسطين، غرباء كلهم، وقد جاؤوا من خارج فلسطين؛ لأنه لا يستطيع أحد أن يأتي بدليل علمي واحد، يثبت انتماء اليهود التاريخي إلى فلسطين. أما وجودهم الاستعماري فإنما كان بقوة الخداع والمؤامرات، ثم فيما بعد بقوة السلاح والإرهاب، **وهذا لن يعطيهم الشرعية مهما طال الزمن.**

ونحن كفلسطينيين وكعرب في صراع مستمر ضد هذا المستعمر الصهيوني **حتى تحرير فلسطين بكاملها**.

ونضالنا له أشكاله المتعددة ومنها **النضال الفكري**. ومن هنا، كان المنطلق في نقد الفكر الديني اليهودي، الذي هو البؤرة التي استند إليها الاستعمار اليهودي ليجمع حوله اليهود، فهم يؤمنون بالعهد القديم ككتاب ديني لا شك فيه. لذلك سنناقش المحاور الأساسية فيه، والمرتبطة بالعنصرية والاستعمار واللا أخلاق، لنظهر زيف هذه البؤرة وانحطاطها ولا أخلاقيتها.

إن أي فكر إن لم يكن منفتحاً على البشرية جمعاء. ويدعو للحق، للعدل، والمساواة والمحبة بين الشعوب، إنما هو فكر ظلاميّ منغلق وساقط. وسيرميه حامله خلف ظهره عندما يعي الحقيقة، أو عندما يستيقظ عقله وضميره، إن كان يعرفها، ولكن المستعمر تحركه مصالحه فقط، وهو لا يناقش عقلياً ومنطقياً!!

* * *

www.alkottob.com

هوامش المقدمة

1- هكذا فعل يشوع في أريحا، إلا أنه لم ترد أية إشارة في العهد القديم، إلى محاولة هداية شعب أريحا/ الوثني بزعمه/ إلى الدين اليهودي!!

وكذلك هو الحال بالنسبة للاستعمار الأوروبي، عندما غزا القارة الأمريكية. فقد ادعى بأنه يريد هداية قبائل الهنود الحمر الوثنيين، بل، ويريد تطوير تلك الشعوب البدائية! وكان أن قتل الملايين، وهرب من بقي حياً منهم إلى رؤوس الجبال، والمناطق النائية. فاستعمر الأوروبي أرضهم، وسلب خيراتهم، وأقام المستعمرات التي تحولت إلى دول فيما بعد!!

2- راجع كتاب "جذور القضية الفلسطينية", د. أميل توما. جاء في الصفحة 38: (ثم إن الإيديولوجية الصهيونية في مسيرتها لم تسهم في الظروف الموضوعية في حركات التقدم الإنساني، بل دعمت قوى الردة والإمبريالية على الصعيدين الأوروبي والعالمي. فمن الناحية الأوروبية الداخلية وقفت الصهيونية ضد حركات انعتاق اليهود العامة واندماجهم بمجتمعاتهم في كل قطر من الأقطار، كما صادمت الحركات الاشتراكية الثورية بمحاولتها جذب العمال اليهود بعيداً عن تلك الحركات. ومن الناحية العالمية دعت إلى الاندماج في مخططات الإمبريالية العالمية بشقيها الكولونيالي الاستيطاني والسياسي الإستراتيجي).

وراجع ما كتب حول حركة التنوير اليهودية (الهاسكلاه) التي قادها المفكر اليهودي موسى مندلسون، في القرن الثامن عشر. فقد وضعت الأسس الصحيحة لحل مشكلة اليهود جذرياً من خلال اندماجهم في الشعوب، واعتبار اليهودية ديناً وليس جنساً أو قومية. لكن الحركة الصهيونية الاستعمارية والعنصرية، وقفت ضدها وحاربتها!!

3- لا ننسى أن الحروب الصليبية إنما هي حروب استعمارية, ولم يكن الدين إلا ستاراً مزيفاً.

4- إن التسميات: اليهودي، الإسرائيلي، العبري، السامي، الصهيوني.... كل واحد منها له مدلوله التاريخي كما ترى ذلك كتب كثيرة. فاليهودي هو المنتمي إلى الديانة اليهودية. والإسرائيلي نسبة إلى إسرائيل وهو يعقوب، فالتسمية تخص سلالة يعقوب. والعبري يختص فقط بإبراهيم ومن كان معه من أهله وأقربائه. والسامي نسبة إلى سام بن نوح. أما الصهيوني فهو المؤمن باستعمار فلسطين..

إننا نجد أن عبور إبراهيم، غير محدد الدلالة فهو قد يكون لنهر الفرات، أو لعبوره نهر الأردن إلى أرض كنعان، أو عبور حدود أو بحر... وفي معجم البلدان (ج4 - ص 78): يذكر المؤلف ياقوت الحموي عدة احتمالات لتسمية العبرانيين ومنها: نسبة إلى عبورهم مع موسى البحر فارين من مصر.

وقد جاء في سفر التثنية، إصحاح 9/ 1: (اسمع يا إسرائيل أنت اليوم عابر الأردن). والخطاب هنا موجه لجماعة موسى. وقد استخدم موسى في التوراة تسمية العبرانيين (إله العبرانيين).

وقد عرف نسل إبراهيم وحتى يوسف في التوراة بالعبرانيين، كنسبة إلى رأس العشيرة إبراهيم. وصارت العبرية أو العبرانية تعني اللغة الخاصة بالعبريين أي الإسرائيليين.

www.alkottob.com

ووردت التسمية نسبة إلى أحد أجداد إبراهيم وهو عابر. جاء في تاريخ ابن خلدون المجلد الثاني - ص 38: (عابر هذا هو أبو العبرانيين الذين تكلموا بالعبرانية). ووردت كصفة سومرية تعني المهاجر أو العابر للحدود (حابيرو، عابيرو، خابيرو). وربما نسبة لأسماء عشائر أسقطت فيما بعد على أشخاص. كما استخدمت لتدل دلالة جغرافية على شعب بلاد العابري أو الخابري.

والتسمية: الإسرائيلي، لم تعد تستخدم كنسبة إلى يعقوب، بقدر استخدامها- زيفاً- كنسبة إلى شعب محدد، أو كنسبة إلى الكيان الإسرائيلي.

ونحن نجد في الأدبيات الغربية، والموسوعات، استخدام الإسرائيلي أو العبري دونما تمييز. فهي ترى أن النسبة إلى الدين، أو إلى الآباء الأولين واحدة، وتعد تلك الكلمات مترادفات!

وقد استخدمت التوراة تسمية "بنو إسرائيل" لتدل على الشعب.

وقد جاء في كتاب أبجد العلوم (ج1 - ص 174)، وكذلك في كشف الظنون (ج1 - ص 32): العبرانيون هم بنو إسرائيل.

فليكن العابر هو إبراهيم، فهؤلاء ينسبون أنفسهم إليه زوراً. وسواء أكانت العبري، أو العبراني، نسبة إلى عبور إبراهيم، أو غيره، فكل ذلك لا قيمة له.

أما كلمة اليهود فهي مشتقة من يهوذا الابن الرابع ليعقوب، وهو رأس أحد الأسباط الاثني عشر (أولاد يعقوب)، ثم ارتبطت التسمية بمملكة يهوذا. ومنذ القرن السادس ق.م، صارت التسيمة تطلق على كل بني إسرائيل. فقد شاعت كلمة اليهود من بعد السبي البابلي كما يذكرون. و قد استخدمت كتب التاريخ العربية القديمة هذه الكلمة لتدل على المنتمي إلى الديانة اليهودية، وفي الوقت نفسه كانت تعني الشعب اليهودي (كجنس، كعرق).

جاء في كتاب: (الملل والنحل: الجزء الأول - الفصل الأول - ص 210) تعريف اليهود: (وهم أمة موسى). CD.Rom(مكتبة العقائد والملل -).

إذاً هذه التسميات: عبري، إسرائيلي، يهودي، ساميّ ... يتعامل اليهودي معها بمعنى واحد. وبالتالي تدل على الدين، الجنس/ العرق، الشعب..... فالإسرائيليون بغض النظر عن كل تلك الفذلكات، أطلقوا على أنفسهم كل تلك التسميات، وانفردوا بها وحدهم دون منازع. وإذا ما ذكر أي من تلك المصطلحات ينصرف الذهن مباشرة إليهم. ونحن نؤكد هنا أن لا علاقة مطلقاً ليهود اليوم بيهود الأمس، ولا بكل تاريخية العهد القديم، وإن هم تبنوا تلك التسميات!!

كما نرى أن كل تلك التسميات تكون واحدة، إذا كان الأمر يتعلق باليهودي المستعمر. **فما الصهيونية إلا تجسيد لهذه المفاهيم - الملفقة - مجتمعة على أرض فلسطين.**

ويمكن الحديث عن الفصل ما بين اليهودية كدين، والصهيونية كإيديولوجيا استعمارية مرتبطة بالإمبريالية العالمية خارج فلسطين، إن لم يؤيد اليهودي الصهيونية!! ولكن كم عدد هؤلاء اليهود الرافضين للصهيونية في العالم؟! وهم وإن فعلوا ذلك، يكونوا قد خرجوا من دينهم، لأن الدين هو الذي أعطاهم فكرة استعمار فلسطين، كما ستوضحه هذه الدراسة.

www.alkottob.com

إن الأمر المنطقي أن تكون الديانة اليهودية، كديانة فقط، منفصلة عن فكرة الشعب/ الإثنية/ العرق/ الجنس/ القومية... ولكن ماذا نفعل إن كان اليهود قد صهروا كل ذلك - زيفاً - في بوتقة واحدة!؟ ونحن هنا نناقش ما هو كائن في التاريخ، وعلى أرض الواقع. فمغالطات المصطلح شيء والواقع شيء آخر.

راجع دائرة المعارف الكتابية- صادرة عن دار الثقافة – CD.Rom . وراجع كتاب د. أحمد داود: "العرب والساميون والعبرانيون وبنو إسرائيل واليهود", فهو يميز بين تلك التسميات.

5- راجع كتاب "تاريخ سوريا القديم", د. أحمد داود.

السامية خزعبلات كلها، وما سام إلا خرافة من خرافات التوراة، وهي لا تمت للعلم بصلة، وقد استخدمها لأول مرة اللاهوتي اليهودي النمساوي شلوتزر في القرن الثامن عشر معتمداً على التوراة، لربط اليهود بالمنطقة وفلسطين. واعتمد المستعمرون والصهاينة مقولته لأنها تخدم أهدافهم الاستعمارية!!

إن اليهودية دين وليست جنسية أو شعباً، كما هو الحال بالنسبة للمسيحي أو المسلم. ولا علاقة لليهود بفلسطين مطلقاً لا قديماً ولا حديثاً. وأكثر من 80% من اليهود هم من الأشكناز الذين أصلهم العرقي من الخزر، وقد اختلط بالعنصر الأوروبي بعد هجرتهم إلى أوروبا.

وبالتالي هم يهود ديناً، وأوروبيون جنساً وشعباً!! وما قلناه عن الفصل بين الدين والجنسية ينطبق على بقية اليهود كالسفارديم...

واليهودية كدين انتمى له أناس من جنسيات مختلفة، ومنذ أقدم العصور وباعتراف اليهود أنفسهم، وعلى سبيل المثال ما ورد في سفر أستير (8 / 17) يكفي كشاهد على ذلك: (وكثيرون من شعوب الأرض تهودوا لأن رعب اليهود وقع عليهم).

6- راجع كتاب: (الصهيونية غير اليهودية جذورها في التاريخ الغربي), د. ريجينا الشريف. جاء في الصفحة 253: (إن الرابطة بين الصهيونية واللاسامية ربطت الصهيونية كذلك بالنازية، فقد كان آباء النازية السياسيون والايديولوجيون يشاركون الصهيونيين فذلكاتهم، فكرة "الجنس المختار" عند النازية لم تكن تختلف عن فكرة "الجنس المختار" عند الصهيونية إلا في هوية هذا الجنس: هل هو الجنس الآري أو اليهودي. ولم يكن الصهيونيون اليهود وغير اليهود يستشعرون أية كراهية للنازية وسياساتها وممارساتها اللاسامية).

وراجع كتاب الأيديولوجية الصهيونية: د. عبد الوهاب محمد المسيري. فهو يقول في الصفحة 46: (ومع انبعاث حركة القومية العربية ومعارضة الحكم العثماني وجد العرب في انجلترا حليفا مؤقتاً لهم، فاتجه الصهاينة إلى الأتراك وحلفائهم الألمان، ناصحين إياهم "بأن إنشاء مقاطعة يهودية في فلسطين هو أمر مرغوب فيه لخلق توازن مع الـ 600.000 عربي في فلسطين"، ومع الدول المحيطة بها. وقد ظل هرتزل، بما عرف عنه من إعجاب شديد بالحضارة الألمانية والعسكرية البروسية، يفكر في إنشاء الدولة اليهودية كمحمية ألمانية، وكان القيصر ويلهلم الثاني "المعروف باتجاهاته المعادية للسامية" يدرك المزايا الكامنة لألمانيا إذا ما تبنت المشروع الصهيوني، لأنه سيستفيد من "قوة الرأسمال اليهودي" ومن "عرفان اليهود بالجميل لألمانيا". وكان بسمارك أيضاً يفكر في توطين اليهود في المنطقة المحاذية لخط بغداد - برلين،

www.alkottob.com

حتى يصبحوا أقلية تجارية تصطدم بالسكان المحليين، وتعتمد على ألمانيا لحمايتها، فيكونوا خير ممثل للاستعمار الألماني هناك. وفيما بعد أبدى النازيون اهتماماً كبيراً بالمشروع الصهيوني، وتعاونوا في وضع هذا المخطط موضع التنفيذ، بل إنهم درسوا خططاً أخرى لتوطين اليهود في سوريا واكوادور ومدغشقر).

7- راجع كتاب (بروتوكولات حكماء صهيون): تحقيق عجاج نويهض, للاطلاع على الحس الأخلاقي المرهف!!

هذا إن تجاوزنا ما يقال حول الماسونية!!

إن من يستغل كلمة الإنسانية، والحس الأخلاقي المرهف، للدفاع عن اليهود في فلسطين، عليه أن ينظر إلى الجرائم التي يرتكبونها ضد الشعب الفلسطيني. وعليه أن يقرأ التاريخ، وأن يتابع الأخبار بحيادية وضمير. كما يجب عليه أن يطلع على الإعلام والأفلام السينمائية الإسرائيلية، والغربية الاستعمارية، ليرى كيف يصور هؤلاء، الإنسان الفلسطيني، بل والعربي. وعليه أن يقرأ الاستطلاعات اليهودية. ليفهم طبيعة العنصرية اليهودية في فلسطين والتي اختارت لقيادتها، المجرم شارون، وهذا ما يعكس روحها ومشاعرها الحقيقية. وليستمع إلى المقابلات التي تجري مع اليهود. ويكفي كصورة أن الأطفال اليهود في فلسطين يقولون وبكل روح عدائية: (لا يمكن تحقيق السلام لإسرائيل إلا بالقضاء على كل العرب وامتلاك أراضيهم. وبذلك يتحقق السلام لإسرائيل). وآخر بتبجح وغطرسة: (لا يوجد سلام طالما هناك عرب على أرضنا)!!

فمفهوم السلام هو، **لهم**، وليس **للآخرين**!! فهم دائماً يغيبون حقوق الطرف الآخر الفلسطيني، تحت الشعار المزيف: "أرض بلا شعب لشعب بلا أرض"!

وفي تعليق على مقتل طفل فلسطيني، قال أحدهم ((وبكل إنسانية سامية)): (هذه الأرض التي أعطانا إياها الله، وهم اغتصبوها، وسرقوها منا، وعليهم أن يدفعوا الثمن)!!

والحاخام الأكبر، والمشهور جداً، وصف العرب والفلسطينيين بالأفاعي والقرود، ودعا للقضاء عليهم!!

ألا يحق للعرب أن يرفعوا هم، شعار "**المعاداة للعرب**"!؟ وأن يرفع الفلسطيني شعار "**المعاداة للفلسطيني**" في وجه العالم الغربي والأمريكي كله!!

8- راجع كتاب "الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية": د. رشاد عبد الله الشامي.

ولعله من المفيد هنا أن نذكر أن اليهودي المتدين إذا انتمى لقومية البلد الذي يعيش فيه، يعني تخليه عن الدين. وإذا انتمى إلى الدين، يعني تخليه عن القومية. فالدين والقومية لا يجتمعان خارج أرض الميعاد كما يعتقد! ومن هنا صار اليهودي ذا وجهين. وربما أصيب بانفصام الشخصية، نتيجة ضياعه بين الالتزام بدينه، وبين ولائه لقومية الدولة التي يحيا فيها. ولذلك وجد الحل في ازدواجية الجنسية، بمعنى: جسده يحمل جنسية البلد التي هو فيها، وروحه يهودية عنصرية استعمارية صرف (إن لم يتخل عن فكرة الشعب المختار وأرض الميعاد). ولذلك بقي اليهودي المتشنج في الغيتو، وبقي عازلاً نفسه عن المجتمع الذي يعيش فيه. ومن هنا يمكن فهم نظرة المجتمع غير اليهودي له.

www.alkottob.com

المنهج

في نقدنا للدين اليهودي ننطلق من النص نفسه، دون النظر إلى كونه مزوراً عند الآخرين، أم غير مزور. فذاك النص يؤمن به اليهود كنص ديني مقدس مُوحى به. وعلى هذا الأساس نناقش الموضوع.

هناك ثلاثة تيارات، الأول: يرفض أحداث العهد القديم وشخصياته جملة وتفصيلاً. والتيار الثاني: يؤمن بكثير من الأحداث والشخصيات، لكنها بحسب اعتقاده، مشوهة ومحرفة عن أصل صحيح. والتيار الثالث: يؤمن بأحداث العهد القديم وشخصياته كما وردت في النص إيماناً مطلقاً دون تعديل أو تحريف، وهم اليهود المتدينون، ومن يدور في فلكهم!

ونحن في نقدنا إنما يهمنا التيار الثالث لا غير. فهم مؤمنون بما ورد في النص كما هو، على علاته، ومخالفته للعقل والمنطق والعلم والأخلاق. وهو يتناقض مع القيم المطلقة.

والنقد لهذا التيار، لا يمنع التعرض لطرح بعض آراء التيارين الأول والثاني في بعض القضايا، من أحداث أو شخصيات، يتطلبها البحث.

إن البشرية في تطورها الحضاري، تسعى نحو تحقيق الحق والخير والعدل، والأخلاق، وعلى أرض الواقع. وهذا مرتبط بما تحمله من مبادئ وقيم. فهل حقق النص اليهودي لحامليه ومعتنقيه، الكمال والإنسان الحضاري!؟

إن الإجابة عن هذا السؤال تعني التعرض للممارسة، مما يعني التعرض للسياسة، وهذا أمر لا مفر منه..

إذاً نحن سنناقش النص المطروح والمسلم بصحته المطلقة. وبما أنه نص ديني، إذاً، لا بد للمنهج من أن يتفرع إلى فرعين:

الفرع الأول: يتعلق بدراسة النص من الخارج؛ جذوره ومصادره.

والفرع الثاني: يتعلق بالنص من الداخل. فبما أنه نص ديني ربط نفسه بالحقيقة المطلقة أي الله، والله في التصور الديني: هو الحق والعدل والخير والجمال، فهو الكمال المطلق. إذاً سندرس النص كموازنة، وكمقارنة، لنرى مدى التطابق بين النص وصاحبه، وهل النص يحقق المفهوم الحقيقي لله!؟ وبمعنى آخر هل ينعكس كمال الله المطلق على النص أم لا!؟

فمنهج النقد للفرع الثاني، مستمد من النص نفسه، لأنه يطرح نفسه كمعطى من المطلق. والموازنة تدرس مدى المطابقة بين النص والمطلق.

فإن سقط جزء نتيجة الموازنة، يسقط الكل، لأنه نص إلهي. فسقوط الجزء يجر الكل معه. لأن النص ككل لا يتجزأ فهو من مصدر واحد كما يدعون. وبناء على ذلك لن نتناول العهد القديم كله، فالنقد الأساس في هذا الإطار موجه لبعض الأحداث والشخصيات في التوراة والعهد القديم. فإن ثبت سقوط هذا البعض، ثبت معه سقوط الكل . ولا ضرورة لمتابعة كل التفاصيل بعد التهاوي!!

إن النقد لنص بشري، يمكن معه أن نقول: هناك سلبيات وإيجابيات، هنا نجح الكاتب، وهناك أخفق. ولكن مع النص الإلهي، لا يمكن أن نقول: نجح هنا، وأخفق هناك. وهذه إيجابية من الله، وتلك سلبية!!

www.alkottob.com

فالنص الديني إما أن يؤخذ ككل، وإما أن يرفض ككل. فالله لا يتجزأ، ولا يتناقض. ولا وجهين له، فلا يمكن أن يكون في وقت واحد، هو: الخير والشر، والحق والباطل، والجمال والقباحة!!

ونحب أن نشير إلى قضية مهمة وهي أننا نرفض في المنهج كل الشروحات والتفسيرات التي تنطلق من منطلق الظاهر والباطن، والرمز والتأويل. أي كل ما يجرنا إلى القبالة والثيوصوفية والغنوصية، لأن كل ذلك يحمل النص فوق قدرته وطاقته واستطاعته، بهدف تحسين ما هو قبيح، أو تبرير ما يخالف العقل، أو حل إشكالات التناقض، أو رسم صورة مثالية، أو لتأييد اتجاه ما.... وكل ذلك نراه خزعبلات فارغة (1).

وهذا لا يعني تجاهل المجاز من تشبيه واستعارة وكناية... إن كان المدلول يدل عليه.

المنهج الأول: سيتناول العهد القديم من الناحية التاريخية، لإثبات سرقة اليهود لفكرة التوحيد، والأحداث الأساسية من الشعوب الحضارية في المنطقة. ونحن لن نناقش تاريخية كتابة العهد القديم، فهناك كتب كثيرة عالجت ذلك، ويمكن العودة للكثير منها (2).

أما المنهج الثاني: فهو سيتناول ثلاثة موضوعات: "منح اليهود فلسطين أرضاً أبدية لهم، اصطفاء اليهود على البشرية، لا أخلاقية شخصيات العهد القديم".

ونحن لم نتناول العهد القديم من ناحية الخرافة مقابل العلم، مثل: (إيقاف الشمس ليشوع، بينما المفترض إيقاف الأرض، لأنها هي التي تدور حول الشمس. والتنقل عبر المسافات الطويلة بساعات قليلة. أو رؤية إبراهيم للأرض الموعودة بعينيه. صراع يعقوب مع الله...). فهو أي العهد القديم مليء بالخرافات المناقضة للعلم. كما أن التلمود خرافاته أكثر (3). وهذه القضايا درست.

ولم نلتفت إلى قضية التشريعات، لأنها تشريعات قبلية بدائية، ومعظمها مسروق من الحضارات القديمة.

كما أن هذه الدراسة لم تهتم بطرق جمع العهد القديم، وسواء أكان البدء خلال فترة الأسر البابلي أم بعده. أم في القرن الأول للميلاد. وسواء أكتب خلال قرون قبل الميلاد أم بعده، فهذا الأمر لا يعنينا.

كما أن قضية عدد الأسفار غير المعترف بها أو السرية لا تهمنا (4)، فقد اعتمدنا على الأسفار العلنية والموثوقة والمطبوعة. وكل ما يعنينا هو أن نناقش نصاً موجوداً تاماً معترفاً به عند من يؤمن به من اليهود.

ومن المعروف أن التلمود الذي بُدِئ بتأليفه في القرن الخامس للميلاد، مكمل للتوراة والعهد القديم. وما هو إلا شروحات موسعة له تشمل أموراً تشريعية وسياسية وعبادات... ويتمسك به اليهود التقليديون "الأرثوذكس" بشكل خاص.

وكذلك الأمر لم نتعرض له، لأنه غير متوفر بين أيدينا بسبب انتشاره المحصور في دائرة مغلقة، وإن كانت أهميته لا تقل عن التوراة (5).

وأخيراً لا بد من الإشارة إلى كثرة الشواهد والاقتباسات، مما يعني أن العمل هذا امتداد لأعمال سبقته، يلتقي معها في نقاط عديدة. وقد استفاد من الدراسات والنتائج التي قامت تلك الأعمال ببحثها، وتعبت وبذلت جهداً علمياً كبيراً.

www.alkottob.com

ولو أردنا مثلاً أن نقوم بموازنة بين نصوص التوراة والنصوص المسروق منها، لاحتاج الأمر إلى مئات الصفحات، علماً بأن هناك من قام بذلك. فلا فائدة من تكرار عمل إن لم تكن هناك رؤية جديدة. وما نريده هو كتيب، ليكون في متناول الجميع، يعطي صورة، ويحيل القارئ إلى المصادر والمراجع المناسبة.

وما نطرحه من شواهد أو اقتباسات، يغني عن الكلام الكثير، أو حتى عن التعليق والاستنتاج.

تتألف هذه الدراسة من أربعة فصول، كل منها يثبت تهافت النص برمته.

وهذه الفصول هي :

آ) - أسطورة العهد القديم.

ب) - منح اليهود فلسطين أرضاً أبدية لهم.

ج) - اصطفاء اليهود على البشرية.

د) - لا أخلاقية شخصيات العهد القديم.

وهناك ملحقان:

1- أرض كنعان وعسير.

2- اليهودية المسيحية.

* * *

www.alkottob.com

هوامش المنهج

1- لنا عودة لهذه النقطة في بحث (لا أخلاقية شخصيات العهد القديم). والغنوصية اليهودية بالسين أو الصاد: حركة دينية صوفية ظهرت بعد ميلاد المسيح، وتطورت في القرنين الثاني والثالث. وهي تجمع بين العهد القديم والفلسفة اليونانية بالاعتماد على التفسير المجازي. ويعد فيلون اليهودي أول من جمع بين الفلسفة اليونانية والدين.

وقد تشكلت مدرسة الإسكندرية الفلسفية ولها رؤيتها الفلسفية الرمزية للنص. وتقابلها مدرسة أنطاكية المتمسكة بالتفسير الحرفي. والفريسيون كانوا متمسكين بالحرف أكثر من الروحانية.

2- نذكر من ذلك: دائرة المعارف الكتابية – Cd.Rom. قصة الحضارة: ول ديورانت - المجلد الأول. دراسة الكتب المقدسة: موريس بوكاي. التوراة بين الوثنية والتوحيد: سهيل ديب.....

3- راجع التلمود تاريخه وتعاليمه: ظفر الإسلام خان.

4- راجع دائرة المعارف الكتابية – Cd.Rom: فهناك أسفار أطلق عليها "أبو كريفا العهد القديم" وتعني الكتابات المزيفة، فهي تنسب إلى كتّاب لا يمكن أن يكونوا قد كتبوها، مثل: إبراهيم، موسى..... وقد ظهرت في القرن الثاني، على يد الغنوصيين. وقد ألحقت الترجمة السبعينية تلك الأسفار بالعهد القديم. ولها ترتيبها الخاص المبني على التسلسل التقريبي للزمن. والترجمة السبعونية قام بها اثنان وسبعون عالماً يهودياً في الإسكندرية في عهد الملك بطليموس الثاني فيلادلفوس في القرن الثالث ق.م. وقد ترجموا إلى اليونانية ما تبقى من كتابات عبرية في العهد القديم. فقد كانت هناك بعض الأعمال قد كتبت أصلاً باللغة اليونانية.

أما أسفار العهد القديم القانونية عند اليهود فهي تسعة وثلاثون، إلا أنه لهم حساباتهم للأسفار تصل إلى أربعة وعشرين سفراً. فهم مثلاً ينظرون إلى سفري صموئيل الأول والثاني كسفر واحد.. وكذا لسفري الملوك والأخبار وعزرا ونحميا. ويجمعون أسفار الأنبياء الصغار في سفر واحد.

فالعهد القديم يقسم إلى: (1) الناموس: الأسفار الخمسة: التكوين، الخروج، اللاويين، العدد، التثنية. (2) الأنبياء الأول: يشوع، القضاة، صموئيل، الملوك، الأنبياء المتأخرين: أشعيا، إرميا، حزقيال، سفر الاثني عشر نبياً. (3) الكتابات: المزامير، الأمثال، أيوب، نشيد الإنشاد، راعوث، المراثي، الجامعة، أستير، دانيال، نحميا، عزرا، أخبار الأيام الأول والثاني.

والكنيسة الكاثوليكية وبعض الكنائس التقليدية، ضمت معظم الأسفار الأبوكريفية: (طوبيا، يهوديت، الحكمة، حكمة يشوع بن سيراخ، باروخ، والمكابين الأول والثاني، وبعض إضافات لسفري أستير ودانيال).

والكنيسة اللوثرية عدّت الأسفار الأبوكريفية، مفيدة في التوجيه والسلوك، ولكنها ليست أساسية في التعليم المسيحي.

راجع أيضاً كتاب "التوراة بين الوثنية والتوحيد": سهيل ديب. فصل أسفار التوراة السرية: ص 105 وما بعد .

www.alkottob.com

5- راجع دائرة المعارف الكتابية – Cd.Rom. مادة : تلمود: هناك التلمود البابلي وهو الأهم. ودونه التلمود الفلسطيني، ويسمى تلمود أورشليم.

يتألف التلمود من أقسام، وكل قسم ينقسم إلى أبواب. وهذه الأقسام تشمل أموراً فقهية وتشريعية لا تهمنا مثل: الزراعة، والأعياد والصوم والحج، والنذور، والخطبة والزواج والطلاق، والملكية والقانون الجزائي، والذبائح والقرابين، والطهارة والنجاسة...

* * *

www.alkottob.com

أسطورة العهد القديم

إن الدين اليهودي ولد في رحم الأسطورة بعد أن أخذت بعدها المتطور، وأعطت خلاصة تفكير الإنسان عبر مئات السنين من جدله مع الوجود. ولسنا هنا بصدد دراسة الأسطورة، وارتباطها بالدين، لأن دراسات كثيرة فعلت ذلك (1). ولكن سيكون بحثنا هنا استخلاصات قدمتها الدراسات حول ذلك.

وهنا يجب أن ننتبه إلى قضية هامة حتى لا يكون في الأمر تناقض. فنحن نظرنا إلى العهد القديم كزيف وعدم مصداقية. ثم نظرنا إليه كتاريخ يروى، وناقشنا ذلك. ولكن مناقشتنا له ليست اعترافاً بأنه تاريخ صحيح، إنما لندل على أنه مزيف ومسروق. فنحن هنا نناقش النص لإظهار ذلك. وشتان بين الأمرين!!

لقد بنى كتبة التاريخ نتائج غريبة عن العقل والمنطق والعلم، نتيجة استنادهم إلى العهد القديم، وتسليمهم بصحة ما ورد، ودون أدلة علمية؛ كوثائق أو مستندات أو آثار أو أحداث مقارنة. لذلك لا نؤمن بنزاهة من درس تاريخ فلسطين من منظار العهد القديم.

اليهود قبائل بدوية كانت تعتمد الرعي والتنقل في حياتها (2)... وعقلها يمثل البدائية المتخلفة التي يسيطر عليها الجهل والهمجية، وفجأة تجد نفسها بين أهل الحضارة... بين شعوب لديهم خلاصة خبرة العقل البشري. فما كان منهم إلا أن نقلوا هذه الثمرة الناضجة التي أنتجها فكر الإنسان إلى فكرهم، وحوروها بما يناسبهم، ومنحوها درجة التقديس. فصارت الأساطير الجميلة التي أنتجها الإنسان، مشوهة، وصارت نصاً دينياً سماوياً من إنتاج الإله نفسه! وسنستعرض هنا بعض تلك السرقات:

1- الدين :

يتحدث دريني خشبة عن الأسطورة والحضارة:

"كان أسبق الشعوب إلى الحضارة أسبقها في الاهتداء إلى الخالق أو أسبقها إلى الحلم بهذه الأساطير التي كانت محاولات ساذجة في سبيل تفسير هذا الكون وما يزخر به من ظواهر النور والظلمة والليل والنهار والحياة والموت.."، ويتابع "كانت مصر أسبق الأمم إلى ذلك كله لأنها كانت أسبق الأمم في سلم الحضارة وسرعان ما أصبحت أساطير المصريين جزءاً لا يتجزأ من دينهم، بل أصبح دينهم هو مجموعة تلك الأساطير" (3).

وما يراه دريني من أن مصر هي الأصل، يلتقي فرويد:

"إذا كان موسى قد وهب اليهود لا ديانة جديدة فحسب بل شريعة الختان أيضاً فهذا لأنه كان مصرياً ولم يكن يهودياً الأمر الذي يترتب عليه أن الدين الموسوي كان في أرجح الظن ديناً مصرياً لا دين الشعب العظيم الاختلاف بل دين آتون الذي يتفق معه الدين اليهودي في العديد من النقاط الهامة" (4).

فدريني وفرويد يقولان: إن أصل الدين اليهودي هو من مصر. وهناك آراء أخرى ترى بأن الأصل، هو من كنعان نذكر منها رأي فراس السواح. ولكن قبل ذلك سنذكر رفضه لحمل موسى تراثاً من مصر:

"لم يحضر اليهود إلى سورية الجنوبية معهم ثقافة أو حضارة. ولا تراثاً روحياً مميزاً فقد عاشوا في أرض مصر عيشة العبيد الأذلاء وفروا منها استجابة لدعوة رجل فولاذي هو موسى الذي تضاربت الآراء بشأنه.

www.alkottob.com

ومن أكثر هذه الآراء إثارة للتفكير النظرية القائلة بأن موسى هو شخص مصري وليس يهودياً، وإنه كان من أتباع أول ديانة توحيدية معروفة تاريخياً وهي ديانة الفرعون أخناتون. ولما هلك أخناتون ودمر كهنة الديانات التقليدية كل ما بناه، تفرق أتباعه وأهله إلا أن موسى التابع المخلص لأخناتون أخذ على عاتقه متابعة الرسالة، فقام باختيار اليهود تلك الفئة الغريبة المضطهدة للتبشير بينهم، وقادهم لقاء اهتدائهم في مسيرتهم الطويلة للخلاص من العبودية" (5).

وفرويد في كتابه: "موسى والتوحيد"، هو الذي يرى أن دين موسى، مصري. وبالتالي الدين اليهودي إنما هو دين مصري. وليت فرويد درس حقيقة الوجود الإسرائيلي ذاته في مصر!!

ونتابع مع فراس السواح بأن كنعان "فلسطين" مصدر الديانة اليهودية، والتراث الديني اليهودي إنما هو تراث كنعاني:

"إن النقطة الأساسية في بحثنا حول نشوء الديانة اليهودية تنطلق من أن هذه الديانة لم تتمايز عن ديانة كنعان قبل دخول العبرانيين أرض فلسطين قادمين من مصر. وإن التراث الإبراهيمي الذي يدعيه العبرانيون لأنفسهم والذي يبدأ بالأب الأول إبراهيم وينتهي بيعقوب ليس إلا تراثاً دينياً كنعانياً" (6).

"فاليهودية في رأينا لم تأت بدين جديد ألصقت فيه فيما بعد عناصر شتى من ديانات المنطقة، بل لقد جاءت نتيجة لتطور الدين السوري ذاته وجدله الداخلي الخاص بين العناصر الأمومية والعناصر البطريركية بين بعل وعشتارت" (7).

كما يؤكد احتفاظ اليهود بالديانة الكنعانية خلال وجودهم في مصر:

"رغم الفجوة الحاصلة في التوراة بين يوسف وموسى فإننا نستنتج أن العبرانيين في مصر قد حافظوا على ديانتهم الكنعانية باتجاهاتها القديمة" (8).

فالدين اليهودي مسروق إما من الديانة المصرية. أو من الديانة الكنعانية. وهذا يعني أنه ليس من اليهود!

2- يهوه :

ورد في دائرة المعارف الكتابية مادة: إيل ، الله ، الرب:

من أقدم أسماء الله المعروفة: "إيل" مع مشتقاته: إيليم، إلوهيم، إلوي. وإلوهيم هي صيغة جمع. وقد تدل كلمة إيل على المكانة التي تتمتع بالهيبة أو السلطة أو النفوذ. ثم استخدم كاسم علم لإله إسرائيل. وجاء أيضاً: (إيل- الله). (وأقام هناك مذبحا ودعاه إيل اله إسرائيل) أي الله إله إسرائيل (التكوين إصحاح 33: 20).

وفي مادة الله: وهو في العبرية: إلوهيم، إيل، عليون، شداي، يهوه. ووردت أدون أو أدوناي، وهذه كلمة عبرية تعني السيد أو المولى. وإذا اقترنت أدوناي بكلمة يهوه فإنها تعني: الرب الإله.

وفي مادة ربّ: يهوه، وتترجم دائماً الرب.

ويقول جورج قرم: "حيثما وردت كلمة الرب في شواهد التوراة فهي في الأصل يهوه" (9).

www.alkottob.com

وهناك حقيقة يجب أن نذكرها وهي أن المترجمين، استخدموا كلمة الله مقابل التسميات تلك، علماً بأن الإله عند اليهود لا يمت بصلة إلى الله الحقيقي!!

إذاً كل تلك التسميات تدل على مسمى واحد، ولا تعنينا هنا تطورات تلك التسميات عبر العهد القديم. إنما يهمنا هنا أن نرى أصل الإله اليهودي:

ترى ثريا منقوش في كتابها "التوحيد في تطوره التاريخي" أن الإله (يهوه) عرف في ثمود:

(ومن جملة الآلهة التي عبدت في منطقة ثمود إله عرف من النصوص الثمودية بالإله "يهو" ولم تقتصر عبادته عند الثموديين بل تغلغلت إلى صحراء مصر الشرقية وصحراء سيناء) (10).

وتقول ربما انتقل إلى مدين، وموسى أخذه عن أهل مدين. فالإله يهوه كان معروفاً في غرب الجزيرة العربية وبمحاذاة سلسلة جبل السراة (11).

وفراس السواح يتحدث عن مصدر الإله "يهوه" والذي هو كنعاني الأصل فيدمجه بالإله آتون ليوفق بين رأيه ورأي فرويد:

(فيهوه نفسه كان إلهاً كنعانياً على ما يبدو، فقد وجد في أرض كنعان عام 1931 بين المكتشفات قطع من الخزف من بقايا عصر البرونز كتب عليها اسم إله كنعاني هو "ياه" أو "ياهو" وهذا الإله ربما كان اليهود قد حملوه معهم إلى مصر ثم عادوا به مختلطاً بالإله آتون وذلك بعد هربهم من هناك أو طردهم) (12).

إلا أنه في كتابه "لغز عشتار"، يتخلى عن نظرية فرويد، ويحسم أمره:

(يهوه العبراني ليس إلا إيل الكنعاني في حلة جديدة وتحت اسم جديد فرضته طبيعة الإصلاح الديني الموسوي ورغبة العبرانيين فيما بعد بالتمييز عن جيرانهم الكنعانيين) (13).

(ولم يكن إله موسى التوراتي سوى إيل كنعان وإيل إبراهيم) (14).

نستنتج من ذلك أن إله اليهود "يهوه" إما مصدره كنعاني أو يمني أو من غرب الجزيرة العربية أو مصري. ومهما كانت الاحتمالات في المصدر الأساسي، فهي كلها تتفق على حقيقة جوهرية وهي: **بأن اليهود إنما سرقوا فكرة الإله والدين من شعوب المنطقة وليس من إبداعهم.**

وإذا عدنا إلى النص التوراتي - سفر التكوين- نكتشف أن ملكي صادق كان موحداً، واسمه يعني: "ملك البر أو السلام"، وكان إبراهيم النبي (في النص) دونه في التوحيد والمكانة فإله ملكي صادق هو إيل (أي الله). ويجب أن ننتبه إلى أن يهوه اليهودي صفاته متدنية، ولا تصل إلى سمو الإله الأصل الذي اقتبسوا عنه إلههم. فيهوه اليهودي إله قبلي خاص بهم، دموي ومحدود الرؤية والتفكير، عصبي المزاج سريع الغضب، قاس وشرير.

جاء في سفر التكوين، الإصحاح 14 (19/18): (وملكي صادق ملك شاليم أخرج خبزاً وخمراً. وكان كاهناً لله العلي وباركه وقال مبارك إبرام **من الله العلي مالك السموات والأرض**).

وجاء في دائرة المعارف الكتابية (ملكي صادق): (ويرى البعض أن معرفة ملكي صادق بالله العلي الحقيقي، وصلت إليه في الأجيال القديمة منذ زمن الطوفان، أو أنه - مثل إبراهيم- تخلى عن الوثنية وتحول إلى التوحيد بإعلان مباشر من الله) (15).

www.alkottob.com

إذاً لم يصل اليهود بعقلهم وذكائهم وحضارتهم إلى الإله والدين، بل كان ذلك سرقة لا أكثر. كما أنهم بقوا وثنيين، لأن يهوه كان خاصاً بهم، والخصوصية تعني الوثنية, بينما الإله العام للجميع هو التوحيد.

3- الخروج :

إذا نحن تجاوزنا صحة قصة موسى مع أخناتون أو عدم صحتها، نتساءل عن حقيقة وجود اليهود في مصر، وقصة ذلك الخروج الذي ترويه التوراة، فلا توجد وثائق علمية تخبرنا بذلك. والتوراة ليست موضع ثقة لتكون مصدراً علمياً؛ فالعهد القديم شيء والعلم شيء آخر، ولن يلتقيا!

أما المجيء إلى فلسطين والذي يعتمد على التوراة أيضاً، فهو لا يستند إلى مصدر موثوق. ونحن نستغرب هذا الاختيار(16)!

يقول سهيل ديب:

(ولا نستطيع مهما حاولنا أن نجد سنداً تاريخياً يؤكد قصص "سفر الخروج" فالتاريخ المصري وهو تاريخ مواز زمنياً لروايات الخروج جرى تسجيله بعناية ودقة بالغتين، يرفض بعناد وإصرار أن يعطينا أي تأكيد أو إشارة لهذه القصص" (17).

يقول فرويد عن خروج اليهود من مصر إلى فلسطين (كنعان) بالذات:

(وما كان ممكناً أن يكون هدف الرحلة إلا كنعان فإلى هذه البلاد كانت عشائر من الآراميين المحبين للحرب قد تسللت غازية ناهبة بعد تقوض الهيمنة المصرية، مشيرة بذلك إلى المكان الذي يمكن فيه لشعب مقتدر أن يتملك أراضي جديدة) (18).

ففرويد يحاول أن يمنطق سبب اختيار فلسطين، كأنما أمر الخروج مسلم به! وكان الأجدر به أن يدرس صحة الخروج نفسه! وهو بالتالي لم ينجح في منطقه التحليلي!

يقول سهيل ديب محللاً رؤيته للخروج والتيه:

(كان على الكتبة البابليين مؤلفي "التوراة" أن يهيئوا المنفيين اليهود نفسياً للرحيل من بابل ومنها يقدمون على احتلال العالم كما وعدهم "يهوه" والطريق إلى ذلك ستكون طبعاً طويلة وشاقة ومن المستحسن أن يكون لها سابقة في تاريخ اليهود لذلك ألفوا ملحمة تصف بعبارات أسطورية قصة رحيل سابق من بلد قوي آخر مصر. ثم كيف سيحتلون بعد ذلك الأرض "التي تدر لبناً وعسلاً" "حزقيال 20: 6". أما قصة ضياعهم في الصحراء لمدة أربعين عاماً فغايتها تنبيههم إلى أن الطريق ستكون صعبة وأن أجيالاً ستمر قبل أن يتحقق "الوعد" (19).

فسهيل ديب يبدأ الرحلة كحقيقة مع السبي، ويعد ما قبل ذلك ملحمة أسطورية! علماً بأن السبي قضية تحتاج إلى أدلة، فقضية السبي وقورش والهجرة من بابل إلى كنعان.... كل ذلك من مصدر يهودي، ولا وثائق علمية تثبته، حتى في التاريخ الفارسي!!

إذاً - وبحسب المصدر التوراتي- اختار اليهود أرض كنعان. وتضاربت الأرقام حول عددهم، مابين بضع مئات إلى بضعة آلاف (6000-7000) إلى أكثر من نصف مليون (600000)!!

4- الأساطير:

www.alkottob.com

لم يكتف اليهود بالسرقات السابقة، بل سرقوا من الأساطير أيضاً، ولا سيما أساطير ما بين النهرين خلال وجودهم في بابل، أثناء فترة سبيهم في القرن السادس قبل الميلاد (كما يدعي العهد القديم). وأضافوها إلى تاريخ زعماء قبائلهم وجعلوها تراثاً دينياً! واللغة التي استخدموها في كتابة السرقات هي اللغة الكنعانية:

(ولغة كنعان أصبحت اللغة العبرية بشهادة العبران الذين كانوا يقولون: إنهم تعلموا شفة كنعان أي لغة كنعان) (20).

أما عن سرقة الأساطير، فيقول سهيل ديب:

(وكذلك نجد معظم الروايات التي ذكرت في الأسفار القديمة على أنها من صلب التاريخ اليهودي إنما نقلت عن قصص وأساطير بابلية قديمة جرى تحويرها وتعديلها بحيث تتماشى مع الرواية الفريسية عن تاريخ اليهود مثل قصص التكوين والنمرود والطوفان وبرج بابل وغيرها...) (21).

(والأسفار الخمسة الأولى من التوراة تعطينا أمثلة عديدة عن الصفة الخيالية والأسطورية للقصص الواردة فيها) (22).

إن قضية سرقة الأساطير القديمة متفق عليها, يقول فراس السواح:

(وهكذا نرى أن العبرانيين كانوا معرضين للاطلاع على الأدب البابلي في أماكن مختلفة وفي أزمنة مختلفة)، (ولعل أفضل مكان وأنسب زمان لمثل هذا الاحتكاك بين العبرانيين والفكر البابلي كان إبان الأسر البابلي خلال القرن السادس قبل الميلاد) (23).

ونلاحظ هنا اتفاق فراس السواح مع سهيل ديب حول مسألة السبي!!

إذاً لم تبق القضية قضية احتمالات أو ظن، فهناك الدراسات العلمية "نصوص، آثار، تاريخ، حفريات"... وهناك دراسات مقارنة زمناً ونصاً.. وهذه القضية العلمية أثبتت أن تراث شعوب المنطقة نقله اليهود إلى أسفارهم ونسبوه إلى الله. أما المكان فليس بذي أهمية، لأن تراث المنطقة كان شائعاً ومتداولاً.

كما أن الكثيرين من المفكرين الغربيين كنولدكه يشككون في أمور كثيرة كجنة عدن، والطوفان، وسدوم وعمورة. ويشككون بوجود شخصيات كإبراهيم ولوط وملكي صادق... ومنهم من يعد وجود الحثيين خرافة... كما أنهم يبدون دهشتهم من إمكانية إبداع القبائل البدوية الهمجية للشرائع، وهي موجودة بشكل أفضل عند الشعوب التي عاشوا بينها. ونحن إذا تتبعنا أسفار العهد القديم نكتشف هذا الأمر بيسر وسهولة... فـ(الهيكل العام للرواية التوراتية ينطبق بكل خطوطه العريضة وبكثير من تفاصيله على النص البابلي حتى أن بعض التعابير تكاد تنطق بحرفية مطلقة) (24).

الخليقة والطوفان:

يتحدث ويلز عن الخليقة (التكوين وآدم وحواء)، والطوفان:

(وقصة الخليقة والطوفان والكثير من قصة موسى والشيء الكثير من قصة شمشون قد جمع شتاتها من مصادر بابلية) (25).

كما يقول: (وقد كشفت الحفائر الحديثة الأستار عن النصوص البابلية التي تروي كلاً من قصتي الخليقة والطوفان وهي نصوص ترجع إلى تاريخ سابق لعودة اليهود إلى وطنهم (26)، ومن ثم فإنا نجد نقاد

www.alkottob.com

الكتاب المقدس يحاجون بأن اليهود استولوا في أثناء أسرهم على تلك الفصول الافتتاحية وهي قوام الإصحاحات العشرة الأولى من التكوين) (27).

فقصة الطوفان موجودة في ملحمة جلجامش، ولكن بدلاً من نوح نجد الرواي أوتنابشتيم (28).

والنص السومري للطوفان يعود إلى 3000 ق.م. والسفينة تستقر على جبل نصير، وفي التوراة جبل أراراط.

وهذه مقتطفات من العمود الثالث والرابع من اللوح الحادي عشر من كتاب: (كنوز الأعماق قراءة في ملحمة جلجامش) لفراس سواح (من صفحة 210 إلى 215 دون الشروحات التي في الهوامش):

(96. وما أن لاحت تباشير الصباح، 97. حتى علت الأفق غيمة كبيرة سوداء، 101. اقتلع اريجال الدعائم، 102. ثم أتى ننورتا وفتح السدود، 105. بلغت ثورة حدد تخوم السماء، 106. أحالت كل نور إلى ظلمة، 107. والأرض [الفسيحة] قد تحطمت [كما الجرة]، 108. ثارت العاصفة يوماً (كاملاً)، 109. تزايدت سرعاتها حتى حجبت الجبال، 110. أتت على الناس، (حصدتهم) كما الحرب، 111. عميَّ الأخ عن أخيه، 112. وبات أهل السماء لا يرون الأرض، 113. حتى الآلهة ذعرت من هول الطوفان، 127. ستة أيام وست ليال، 128. الرياح تهب، والعاصفة وسيول المطر تطغى على الأرض، 129. ومع حلول اليوم السابع. العاصفة والطوفان، 130. التي داهمت كجيش، خفت شدتها، 131. هدأ البحر وسكنت العاصفة وتراجع الطوفان. 140. واستقرت السفينة على جبل نصير، 146. أتيت بحمامة وأطلقتها، 147. طارت الحمامة بعيداً ثم عادت إليَّ ، 152. أتيت بغراب وأطلقته، 153. طار الغراب بعيداً. فلما رأى الماء قد انحسر، 154. حام وحط وأكل. ولم يعد.).

وهذه مقتطفات من سفر التكوين الإصحاح: 7- 8:

(18 وتعاظمت المياه وتكاثرت جدا على الارض. فكان الفلك يسير على وجه المياه. 19 وتعاظمت المياه كثيرا جدا على الارض. فتغطت جميع الجبال الشامخة التي تحت كل السماء.2 وانسدّت ينابيع الغمر وطاقات السماء. فامتنع المطر من السماء.3 ورجعت المياه عن الارض رجوعا متواليا. وبعد مئة وخمسين يوما نقصت المياه. 4 واستقر الفلك في الشهر السابع في اليوم السابع عشر من الشهر على جبال اراراط.7 وارسل الغراب. فخرج مترددا حتى نشفت المياه عن الارض. 8 ثم ارسل الحمامة من عنده ليرى هل قلّت المياه عن وجه الارض.9 فلم تجد الحمامة مقرا لرجلها. فرجعت اليه الى الفلك. لان مياها كانت على وجه كل الارض. فمدّ يده واخذها وادخلها عنده الى الفلك.11 فأتت اليه الحمامة عند المساء واذا ورقة زيتون خضراء في فمها. فعلم نوح ان المياه قد قلّت عن الارض. 12 فلبث ايضا سبعة ايام أخر وارسل الحمامة فلم تعد ترجع اليه ايضا).

ونحن نلاحظ أن الفكرة واحدة، ولا قيمة لاختلافات هامشية، فالجوهر واحد!!

وجاء في دائرة المعارف الكتابية، في مادة "طوفان":

(وهناك وجوه تشابه كثيرة بين أحداث قصة الطوفان الكتابية والقصة الآشورية. كما توجد أيضاً نقاط خلاف واضحة. وتوجد أيضاً ملحمة بابلية يسمي فيها البطل "عترا حازيس").

www.alkottob.com

5- الأعلام:

نلاحظ أن الأسماء في التوراة هي كنعانية أو أوغاريتية فينيقية. فآدم ويعني الإنسان، البشر، وهكذا...

(كما أن سلالات (نوح) هي أسماء بلدان ومنها "آرام" (سورية) و "مِدْيَن" (صحراء الأردن) و "مزرائيم" (مصر) و "كنعان" (فلسطين).... والجدير بالملاحظة أنها أسماء دخلت للمرة الأولى إلى التوراة، وفي (حزقيال) كأسماء لبلدان. وقد اقتبسها الكتبة اللاحقون لإطلاقها على أبطال رواياتهم) (29).

إن الشخصيات في التوراة إما أن تكون خيالية لا وجود لها مطلقاً، وإما أن يكون لبعضها وجود ولكن أُسقطت عليها الخرافة، فغدت شخصيات غير واقعية. وفي كلتا الحالتين نجد أن الشخصية مركبة!

فمثلاً إبراهيم له مكانة كبيرة. وفي التوراة تحول إلى شخصية أسطورية مقتبسة من الأساطير القديمة، ولعل هذه الشخصية بشكلها التوراتي من اختراع نحميا وعزرا صانعي التوراة.

يقول فراس السواح عنه:

(إن شخصية إبراهيم وأبنائه من بعده ما زالت تنتمي إلى التاريخ الديني لا إلى التاريخ العلمي) (30).

وترى ثريا منقوش أن أسطورة إبراهيم مقتبسة من الأساطير السومرية، التي تتحدث عن ولادة طفل في عهد الطاغية نمرود وقتله للأطفال، وإخفاء الطفل في المغارة... (31). والمؤرخون اليهود لحياة إبراهيم اعتمدوا تلك الأسطورة.

والملاحظ أن قضية ولادة طفل في عهد طاغية، تنبأ له العرافون بمقتله على يد ذاك الطفل... نجدها مشتركة عند الكثيرين، فقد وردت في أساطير هندية وغيرها, لكن مع تعديلات وإضافات من الراوي وبحسب رؤيته...

كما أن قصة موسى وميلاده ووضعه في سلة في النهر من الأساطير القديمة... فقصة سرجون وولادته، تشبه قصة موسى نفسه (32) .

ويذكر د. أحمد داود أن شروكين "الملك العادل" في مدينة كيش البابلية الذي عاش حوالي 2350 ق.م، قصته تشبه قصة ولادة موسى. وشروكين لقب لسرجون باللهجة البابلية (33).

وهذا ما ذكرته دائرة المعارف الكتابية، فقد جاء أن مملكة سرجون تعد أول: (إمبراطورية عالمية في التاريخ).

وأن سرجون (اسمه بالأكادية في الوثائق المسمامرية هو "شاروكين" ومعناه "الملك الشرعي" أو "الذي ثبته الإله"... وتسجل النقوش المسمارية الآشورية والبابلية، أسطورة عن نشأته أشبه ما تكون بقصة مولد موسى...).

ومن الأساطير القديمة اقتبست قصة قابيل (قايين) وهابيل (34).

ولعل حكاية يوسف مسروقة من حكاية شعبية مصرية هي: أنوبو وبيتيو، التي وجدت في بردية تعود إلى 1250 ق.م. ويمكن أن يكون تاريخها أقدم من ذلك.

داود والمزامير:

www.alkottob.com

إن مزامير داود مقتبسة من صلوات أخناتون وابتهالاته الدينية، كما عثر على نصوص فينيقية مشابهة لها في رأس شمرا (35)... ومن المعروف أن المزامير تعود إلى القرن الثاني قبل الميلاد.

جاء في دائرة المعارف الكتابية مادة "المزامير":

(البحث الأركيولوجي في بابل وفي مصر قد كشف عن أناشيد متقدمة.... كما أن الكشف عن آداب الكنعانيين في أوغاريت.... قد أمدنا بقصائد هامة مشابهة للمزامير منذ عصر موسى. كما تتشابه الأعداد 20- 30 من المزمور 104 مع ترنيمة مصرية قديمة للإله آتون من عصر أخناتون من القرن الرابع عشر قبل الميلاد. ويزعمون أن المزمور التاسع والعشرين مقتبس عن قصيدة من أوغاريت "للبعل" مع استبدال اسم "البعل" باسم "يهوه").

سليمان ونشيد الإنشاد:

إن نشيد الإنشاد لسليمان إنما هو نص حب وعشق جنسي يتصل بعشتار. وهذه مختارات قليلة منه:

(2/1): "ليقبلني بقبلات فمه، لأن حبك أطيب من الخمر".

(15/1): "ها أنت جميلة يا حبيبتي، ها أنت جميلة. عيناك حمامتان".

(1/3): "في الليل على فراشي طلبت من تحبه نفسي، طلبته فما وجدته".

(5/4): "ثدياك كخشفتي ظبية توأمين يرعيان بين السوسن".

(1/7): "دوائر فخذيك مثل الحلي".

(4/7): "قامتك هذه شبيهة بالنخلة، وثدياك بالعناقيد".

يقول فراس السواح:

(تسللت سيدة الحب الجنسي إلى كتاب التوراة العبرانية وشغلت سفراً كاملاً من أجمل أسفاره ألا وهو نشيد الإنشاد المنسوب للملك سلميان الذي كان طيلة حياته من عبدة الآلهة السورية وخصوصاً عشتاروت "عشتار" وبعليم "بعل" فالسفر بكامله أنشودة حب وعشق دنيوي متقد مرفوع إلى عشتار مهما حاول اللاهوتيون إقحام تفسيراتهم الروحية ورموزهم الدينية عليه) (36).

عشتار أو عشتروت أو عشتاروت هي إلهة الخصوبة عند الكنعانيين. وعرفت عند البابليين باسم إشتار. وتعد أيضاً إلهة الحب واللذة. بيمنا الآشوريون عدوها إلهة الحرب. وعند اليونان هي فينوس, وعند الرومان أفروديت.

ونجد في الموسوعة الكتابية أن سليمان عبد عشتروت إلهة الصيدونيين مع غيرها من آلهة الوثنيين. وقد: (ظلت المرتفعات التي بناها سليمان لعشتروت وغيرها من آلهة الوثنيين إلى ما بعده بنحو ثلاثمئة سنة إلى أن هدمها يوشيا ملك يهوذا... ولكن تحت ضغط البابليين وتهديدهم الشديد لأورشليم، التي لم تلبث طويلاً حتى سقطت في أيديهم، تلاشت إصلاحات يوشيا الدينية، وعادت عبادة عشتاروت إلى الظهور، وكانوا يسمونها "ملكة السماء". "إرميا 7: 18، 44: 17-19") (37).

أيوب وسفره:

www.alkottob.com

كما أن سفر أيوب مسروق من تراث المنطقة. فهناك أكثر من وثيقة شعرية تتقاطع معه، كالوثيقة المصرية:(حوار حول الانتحار). وفي الآثار السومرية أيضاً (أيوب الأول). وعند البابليين مناجاة شعرية (أشكر رب الحكمة)، وكتبت حوالي ألفين قبل الميلاد، وهي تشبه النص السومري. وهناك وثيقة تعود إلى ألف سنة قبل الميلاد تقريباً واسمها (حوار حول البؤس الإنساني), وهي تتطابق بشكل كبير مع سفر أيوب.

وهناك وثائق متعددة من العالم القديم المعاصر لأحداث الكتاب، تتناول هذا الأمر أيضاً, فقد جاء في الموسوعة الكتابية:

(جاء في الآثار السومرية شيء عن "أيوب الأول" وهو رجل قدم شكواه إلى "إلهه الخاص" ، فيقول في معرض تضرعه طلباً للرحمة:

إن رفيقي لا يقول لي كلمة صدق، ويرد علي كذباً بدل كلامي الحق...

"يا إلهي... حتى متى تهملني وتتركني دون حمايتك؟".

وقد ردت نفس أيوب هذا كما حدث لأيوب المذكور في الكتاب المقدس، فقد أصغى إلهه إلى "بكائه المر ودموعه السخينة التى طيبت قلب إلهه".

وهناك أيضاً مناجاة بابلية شعرية كتبت في الألف الثانية قبل الميلاد، بعنوان: "أشكر رب الحكمة"، ولا يختلف أيوب البابلي فيها عن أيوب السومري المذكور أعلاه، فهو – كمتألم بار– يستند على فكرة أن مرودخ إلهه يحكم العالم وهو الذي يسمح له بأن يتألم، ولكنه سيرحم بواسطة أعمال التقوى الطقسية، ولكن كانت لديه شكوكه، إذ يقول: "آه لو علمت أن هذه الأمور ترضى إلهي!"، ولكنه يسترد وضعه وينهي حديثه بترنيمة حمد وتقدمات "ترضي الآلهة وتفرح قلوبهم".

وهناك وثائق أخرى أقدم من هذه، فيها بعض ملامح سفر أيوب، وعلى سبيل المثال تتحدث الوثيقة التي عنوانها: "حوار حول الانتحار" عن رجل مصري يحاور نفسه (الكا أو "القرين") في موضوع الانتحار لأن الأزمنة أصبحت بالغة السوء (كان ذلك فيما بين المملكة القديمة والمملكة الوسطى)، ولم يعد هناك عدل ولا محبة... ثم يقرر في النهاية أن الموت خير من الحياة لأن الناس يصبحون كالآلهة في العالم السفلي. وكما تاق أيوب إلى مصالح أو وسيط. هكذا يلتمس هذا الإنسان وساطة الآلهة، ويحس بأنه يقدم دعواه أمام محكمة إلهية. وهناك تشابه سطحي إلى حد ما – ولكنه مدهش– بين هذه الوثيقة وسفر أيوب، فهي تبدأ – كسفر أيوب– بمقدمة نثرية قصيرة، يعقبها قسم شعري طويل، وأخيراً خاتمة نثرية. وهذا النموذج له ما يماثله في وثائق أخرى قديمة من الشرق الأوسط.

أما الوثيقة الوحيدة التي تعالج موضوع "عدالة الله" الذي يعالجه السفر الكتابي، فهي المسماة: "حوار حول البؤس الإنساني". وهذه الوثيقة تعتبر الأقرب إلى سفر أيوب، فهي حوار بين شخص متألم وصديقه، حيث يتهمه الصديق بالحمق والأفكار الشريرة، ويشير عليه بأن يرد عنه تلك الأفكار وأن يلتمس رضا الآلهة. أما الشخص المتألم فيشكو من أن الحيوانات لا تقدم تقدمات، بل أن الناس الأثرياء، يغتنون بسرعة دون اكتراث بالآلهة، أما هو فقد فعل كل هذه منذ صباه، ومع هذا فهو يتألم. وينبهه صاحبه إلى أن "عقل الإله بعيد بعد السموات، وأن علمه أعظم من أن يدركه الناس". ويرى هذا الصديق أن الآلهة قد خلقت الإنسان

www.alkottob.com

فاسداً ولا حيلة له في ذلك، فهو يقول: "خلعت الآلهة على الإنسان ثياب الزيف والكذب إلى الأبد". وأخيراً يتضرع الشخص المتألم إلى الآلهة طالباً الرحمة. وهنا ينتهي الحوار في نغمة مأساوية) (38).

ويذكر جرجي زيدان أيضاً أن سفر أيوب مترجم للعبرية، وهو عربي الأصل (من المنطقة) (39).

6- شريعة موسى:

وشريعة موسى مقتبسة من شريعة حمورابي، بل هناك تطابق كبير بين الشريعتين كما في: العين بالعين...

تتألف شريعة حمورابي من 282 مادة وهي منقوشة على قطعة حجر كبيرة في 3600 سطر بالخط المسماري. والشريعة هذه مجموعة من القوانين تنم عن تطور الفكر القانوني. وهذا بديهي لأن حمورابي الذي كونّ إمبراطورية عاصمتها بابل، وصلت إلى عصرها الذهبي على يديه....

وشريعة حمورابي تشمل: الجرائم، السرقات، الإقطاعات، عقد الزراعة والقرض، الإضرار بالحقول، زراعة الأرض البور، القرض بفائدة، الوديعة، حقوق الأولاد، التبني، الجروح، أجرة العامل، الرقيق, وهناك قوانين الزواج...

وقد قام جرجي زيدان بمقارنة نصوص شريعة حمورابي بنصوص من شريعة موسى فوجد أنه:

"يوجد تشابه بين شريعة موسى وشريعة حمورابي... إذ أتينا بنصوص متقابلة متشابهة في الشريعتين, وحمورابي قبل موسى بثمانمائة سنة" (40).

كما قامت دائرة المعارف الكتابية بموازنة بين شريعة حمورابي وشريعة موسى، فظهر الاتفاق التام بينهما في نقاط عديدة. مثل:

(خروج إصحاح21 / 14) : "عيناً بعين، وسناً بسن، ويداً بيد، ورجلاً برجل"، فهي تساوي المادة 196-200 في شريعة حمو رابي: "إذا فقأ رجل عين رجل، تفقأ عينه"، "وإذا كسر عظمة لرجل حر، تكسر له عظمة"، "وإذا كسر رجل سن رجل من نفس طبقته، تخلع له سن".

جاء في 28- 32 إصحاح 21 الخروج: (إذا نطح ثور رجلاً أو امرأة فمات يرجم الثور ولا يؤكل لحمه، وأما صاحب الثور فيكون بريئاً. ولكن إذا نطح ثوراً ناطحاً من قبل وأشهد على صاحبه ولم يضبطه فقتل رجلاً أو امرأة فالثور يرجم وصاحبه يقتل أيضاً... إن نطح الثور عبداً أو أمة, يعطى سيده ثلاثين شاقل فضة، والثور يرجم).

ويقابل ذلك ما جاء في قوانين حمورابي "مادة 250- 252": (إذا نطح ثور أثناء سيره في الشارع رجلاً فقتله، فلا وجه لتقديم مطالبات من أي نوع. أما إذا كان الثور ناطحاً من قبل، وتبينت لصاحبه هذه الحقيقة، ومع ذلك لم يكسر قرونه أو يربطه، فإذا نطح هذا الثور رجلاً حراً فقتله، فعلى صاحب الثور أن يدفع ثلاثين شاقلاً من الفضة. أما إذا نطح عبداً فيعطى سيده عشرين شاقلاً من الفضة).

(22/ 7 الخروج) تشبه مادة 124 من شريعة حمورابي. (22: 10- 12) تشبه المواد 244- 246-266 من قوانين حمورابي.

(21: 18- 19 الخروج) تشبه مادة 206 من شريعة حمورابي. (21: 22 الخروج) تشبه مادة 209 من شريعة حمورابي.

www.alkottob.com

وتقول دائرة المعارف الكتابية: (وهكذا نجد العديد من المشابهات في المواضيع والأحكام، بين شريعة موسى وقوانين حمورابي".

وهذا جزء من الموازنة التي قدمتها دائرة المعارف وهي تقول: "لا نستطيع الجزم بأن التوافقات التي عرضناها قد جاءت نتيجة مصادفة عشوائية..." إلى أن تقول: "وعندما اتصل الإسرائيليون بالحضارة البابلية بعد دخولهم إلى أرض كنعان" وهي جزء من بلاد الأموريين القديمة"، كان من الطبيعي أن يستخدموا ما أفرزته تلك الحضارة، مما وجدوه فيها نافعاً لهم).

وعلى الرغم من هذا كله، تدافع دائرة المعارف عن شريعة موسى التي لها: (طابع خاص يحمل صبغة الثقافة الإسرائيلية، بالإضافة إلى وجود اختلافات واضحة عديدة) (41)!!

وهنا نقول: الموسوعة مؤمنة بالتوراة بأنها إلهية، فكيف يأخذ الإله شريعة البشر من حمورابي، وينسبها لنفسه، ثم ينزلها على موسى!؟

يتساءل ندرة اليازجي مستغرباً من تقديم شريعة موسى على شريعة حمورابي:

(لماذا نعتبر شريعة موسى مقدسة مع أن شريعة حمورابي تتميز بإنسانية أكثر شمولاً وكانت أسبق في عالم الفكر؟) (42).

ويقول ول ديورانت عن حضارة بابل:

(وما من أحد ينظر الآن إلى موقع مدينة بابل القديمة، ثم يخطر بباله أن هذه البطاح الموحشة، ذات الحر اللافح الممتدة على نهر الفرات، كانت من قبل موطن حضارة غنية قوية كادت أن تكون هي الخالقة لعلم الفلك. وكان لها فضل كبير في تقدم الطب وأنشأت علم اللغة وأعدت أول كتب القانون الكبرى وعلمت اليونان مبادئ الحساب وعلم الطبيعة والفلسفة. وأمدت اليهود بالأساطير القديمة التي أورثها العالم) (43).

نخلص من كل هذا إلى أن اليهود سرقوا نتاج الفكر الإنساني من المنطقة، وأضافوه إلى تاريخهم؛ تاريخ حركة القبائل الرعوية المتنقلة، وجعلوه كتاباً مقدساً ممهوراً بتوقيع الإله(44)!!

وقضية الاقتباس والتأثر شيء طبيعي، لأن نتاج الفكر الإنسانيّ لشعب ما، هو ملك للإنسانية جمعاء. لكن أن تقتبس نتاج الفكر وتنسبه لنفسك أو لربك، وتسقط الأصل والمصدر عمل لا أخلاقي، وهذا مرفوض. واليهود لم يبدعوا شيئاً ولم يضيفوا للحضارة أي شيء، بل على العكس, شوهوا الإله الذي أخذوه من الآخرين، وجعلوه إله قبيلة وثنية، يعكس الشر والغضب والتعصب, وجعلوا الشريعة المقتبسة تنحصر في إطار ضيق تهم اليهودي ومصالحه فقط.

ونستغرب مما يقرره مؤلفو "ما قبل الفلسفة" بأن لليهود أصالة في توراتهم وليس النقل فقط:

(لقد ظهر العبرانيون متأخرين على مسرح الأحداث واستقر بهم المقام في بلد تعمه تأثيرات من الحضارتين المجاورتين "مصر - بلاد الرافدين" وكلتاهما أرفع منه، ويتوقع المرء أن يكون هؤلاء الوافدون الجدد قد تمثلوا أساليب الفكر الأجنبي لما تتمتع به من سمعة وشهرة وقد فعل ذلك في الماضي عدد لا يحصى ممن رحلوا عن البيد والجبال واتبع كثير من الأفراد العبرانيين أساليب "الأمم" وطرقهم في الحياة. ولكن تمثل فكر الغير لم يكن قط من صفات الفكر العبري بل إنه على العكس قاوم بعناد غريب

www.alkottob.com

وقحة حكمة جيران إسرائيل ومع أننا نستطيع أن نتبين انعكاس المعتقدات المصرية والبابلية في كثير من فصول "العهد القديم" من التوراة لا يسعنا إلا القول بأن الانطباع العميق الذي يتركه هذا الكتاب لا يدل على مبلغ النقل بل على مبلغ الأصالة التي فيه" (45).

هؤلاء يقرون بتأخر اليهود عن مسرح الأحداث، وبتأثرهم بالمعتقدات المصرية والبابلية، ولكن هناك أصالة! وهذه الأصالة يحددها الكاتب فيما بعد بفوقية الله المطلقة!

إن فوقية الله ومفهوم الله الحق والكمال والخير في النص الديني اليهودي لم يتحقق! فلا أصالة مطلقاً لهؤلاء، وهم لم يقدموا شيئاً للحضارة، بل كانوا لصوص حضارة الآخرين!

ولنأخذ اليونانيين كمثال على الاستفادة من حضارة الآخرين، والإبداع والأصالة. فهم قد استفادوا من حضارة مصر، والرافدين، وسورية، ولكن الأصالة عندهم والإبداع والعبقرية لا يختلف اثنان عليها (46).

إذاً انتهت الأسطورة إلى دين سماوي من عند يهوه على يد قبائل اليهود الهمجية، كما انتقل التراث الإنساني كالتشريع وغيره إلى ذاك الدين...

وهكذا تشوهت الأسطورة القديمة، وفقدت بريقها، لأن الأمر لم يعد جمالية ذهن الإنسان وتفكيره، وتطور ثقافته ووعيه، بل غدت عقيدة دينية مقدسة مغلقة وعنصرية.

والأمر المضحك حقاً، أن تغدو أساطير التوراة والعهد القديم المصدر الأساسي، في كتابة تاريخ فلسطين القديمة في الغرب. وكأنما صارت التوراة مصدراً تاريخياً مسلماً به! وأكثر من هذا ألماً، أن يلهث وراءهم الكثير من المؤرخين العرب!! فهم يكتبون عن التاريخ العربي، وخاصة تاريخ فلسطين القديم، بترجمة ما قاله الغرب الاستعماري والمستشرقون المأجورون!!

* * *

www.alkottob.com

هوامش أسطورة العهد القديم

1- جاء في تعريف الأسطورة في الموسوعة العربية الميسرة ص 148 (أسطورة): (تشرح الأسطورة بمنطق العقل البدائي ظواهر الكون والطبيعة والعادات الاجتماعية).

والمعجم الأدبي - د. جبور عبد النور ص 19: (ما الأسطورة إلا قصة خرافية صاغها الإنسان الأول حسبما أوحاه له خياله الضعيف)، (الأسطورة تفسير علاقة الإنسان بالكائنات، وهذا التفسير هو آراء الإنسان فيما يشاهد حوله في حالة البداوة). وللمزيد من المعلومات حول الأسطورة والدين راجع قصة الحضارة لول ديورانت- المجلد الأول, والغصن الذهبي لجيمس فريزر, والطوطم والتابو لسيمجوند فرويد, والبنية الذهنية الحضارية في الشرق المتوسطي الآسيوي القديم ليوسف الحوراني, وراجع ما قبل الفلسفة "الإنسان في مغامرته الفكرية الأولى" - ترجمة جبرا إبراهيم جبرا.

2- فيما يلي بعض التواريخ التقريبية للأحداث والشخصيات مستقاة من عدة مراجع نذكر منها: دائرة المعارف الكتابية (Cd.Rom), بلادنا فلسطين لمصطفى مراد الدباغ, تاريخ فلسطين القديم لظفر الإسلام خان, تاريخ سوريا القديم، وتاريخ سوريا الحضاري القديم للد. أحمد داود.

كما اعتمد في تاريخ اليهود على عدة مصادر ومراجع مثل: اليهود في تاريخ الحضارات الأولى: غوستاف لوبون- مكتبة عيسى البابي الحلبي- القاهرة 1970, مكتبة التاريخ والحضارة الإسلامية (Cd.Rom)- مركز التراث لأبحاث الحاسب الآلي- الأردن-1999. وهو مجموعة من الكتب التاريخية العربية. الكامل في التاريخ: ابن الأثير، تاريخ ابن خلدون: (Cd.Rom) سلسلة 2000 للبرامج التعليمية- الجزء 23.

علماً بأن تلك التواريخ غير دقيقة ولا نعتقد بصحتها، وهي مبنية على أحداث التوراة وشخصياتها، وهي في الأصل مستمدة من المؤرخين اليهود. ولو أخذنا الطبري مثلاً نجده قد اعتمد على الروايات اليهودية (الإسرائيليات) في روايته للتاريخ القديم، ولا سيما في ذكر أخبار الأنبياء وأعمارهم التي عاشوها وأسماء سلالاتهم. وكذا فعل معظم المؤرخين للتاريخ القديم. وإيراد هذه التواريخ هنا ما هو إلا لإعطاء صورة عن زمن مجريات الأحداث والشخصيات التي نناقشها بحسب قناعات المؤمنين بها:

آدم: 5000- 4800 ق.م. (عند د. أحمد داود أكثر من آدم واحد فهناك أوادم كثر، وهذا ما ذكره ابن عباس).

طوفان بابل: 2500- 2600 ق.م. (راجع ملحمة جلجامش). وهناك من يقول: الطوفان حوالي 7000 ق.م.

حمورابي: 1750 ق.م.

هجرة إبراهيم: 1500 ق.م. وفي رأي آخر 1805 ق.م. بحسب دائرة المعارف (1955، 1780 ق.م).

يذكر ول ديورانت في قصة الحضارة، المجلد الأول – الجزء الثاني - صفحة 324: (ويعتقد اليهود أن شعب إبراهيم "أو أبراهام" جاءوا من أور في بلاد سومر، واستقروا في فلسطين "حوالي 2200 ق. م" أي قبل موسى بنحو ألف عام أو أكثر).

خروج موسى: 1300- 1290 ق.م. بحسب دائرة المعارف (1448 ق.م).

www.alkottob.com

مجيء اليهود إلى فلسطين وسقوط أريحا: 1186 ق.م. دائرة المعارف (1408 ق.م).

المملكة اليهودية: 1020 ق.م.

انقسام المملكة (السامرة ويهوذا): 933 ق.م.

سقوط السامرة وسبيها على يد سرجون: 721 ق.م.

سقوط يهوذا وسبيها على يد نبوخذ نصر: 586 ق.م.

السبي للمملكة الشمالية والجنوبية، لم يتم كله دفعة واحدة، بل على مراحل فمثلاً حملات السبي للمملكة الجنوبية يهوذا:

جاء في دائرة المعارف الكتابية: أن السبي الأول في 597 ق.م على يد نبوخذ نصر، والسبي الثاني 586 ق.م، أما السبي الثالث فهو في 581 ق.م على يد نبوزرادان رئيس الشرطة.

مجيء الفرس إلى فلسطين: 538 ق.م.

العودة من السبي: 539 ق.م (يقدر السبي ببضعة وأربعين عاماً). في دائرة المعارف الكتابية: سنة 538 ق.م أو 536 ق.م أعادهم كورش ملك فارس بعد أن استولى على بابل وقضى على الإمبراطورية البابلية.

وتذكر دائرة المعارف قولاً للدكتور فوكس جاكسون أن سبي يهوذا ينتهي معه "تاريخ إسرائيل ويبدأ تاريخ اليهود". وقد كونوا مجتمعات منعزلة لها طابعها الخاص. وبنوا قوميتهم في - محيطهم الجديد- على أساس الدين.

وجاء في كتب التاريخ المؤمنة بتاريخية العهد القديم: بعد أن قمع الرومان تمرد اليهود الثاني (132-135م)، طُرد اليهود من فلسطين نهائياً، وتشتتوا في أنحاء المعمورة!!

يقدر د. أحمد داود، تواريخ الأنبياء في كتابه: "تاريخ سوريا الحضاري القديم" بالأرقام حسب ما يلي:

من إبراهيم إلى عيسى 42 نبياً:

أ- من إبراهيم إلى داود 14 جيلاً.

ب- من داود إلى السبي في بابل 14 جيلاً.

ج- من السبي إلى عيسى 14 جيلاً.

والقرن = 4 أجيال، بمعدل 25 سنة للجيل، أو ثلاثة أجيال. فالزمن بين إبراهيم وعيسى 42 × 25 = 1050 سنة. أو 42 × 20 = 840 سنة. أو 42 × 30 = 1260.

بين إبراهيم وموسى 30 × 7 (أجيال) = 210 سنة.

بين موسى وعيسى 1260 - 210 = 1050 سنة.

راجع كتاب "تاريخ سوريا الحضاري القديم" 1- المركز: د. أحمد داود- دار المستقبل- دمشق- ط1- ك 2, 1994.

وهناك ملاحظة نحب أن نشير إليها:

فقد جاء في التوراة أن تنفيذ وعد يهوه لإبراهيم في أرض كنعان سيتم بعد أكثر من أربعمئة سنة: (فقال لابرام اعلم يقيناً أن نسلك سيكون غريباً في أرض ليست لهم ويستعبدون لهم فيذلونهم أربع مئة سنة. ثم

www.alkottob.com

الأمة التي يستعبدون لها أنا أدينها وبعد ذلك يخرجون بأملاك جزيلة وأما أنت فتمضي إلى آبائك بسلام وتدفن بشيبة صالحة. وفي الجيل الرابع يرجعون إلى ههنا) (التكوين إصحاح 15/ 13- 16). وفي آية أخرى (الخروج إصحاح 12/ 40) تذكر أن الإقامة في مصر هي : أربعمئة وثلاثين سنة!!

إن قراءة النص تقول: أربعمئة سنة في العبودية، ولنفترض أن العبودية بدأت من بعد يوسف مباشرة. وإذا قدرنا الجيل بثلاثين سنة، فمعنى هذا: ثلاثة عشر جيلاً تقريباً، من زمن ما بعد يوسف إلى زمن موسى (400 ÷ 30 = 13 تقريباً). فإذا أضفنا يوسف (أو لاوي) ويعقوب وإسحق يصير العدد 16، بينما أجيال التوراة غير ذلك!! كما أن نص التوراة يقول: وفي الجيل الرابع يرجعون. فهل الرقم هو: 30 × 4 = 120 سنة. لأن من عهد العبودية إلى موسى ثلاثة أجيال أو أربعة (موسى بن عمران بن قاهث بن لاوي). وفي اللغة الجيل هو ثلث القرن يتعايش فيه الناس (المعجم الوسيط). وعلى ما يبدو أن الجيل في التوراة يساوي مئة عام!

إن المؤرخين العرب كالطبري والمقدسي وابن الأثير.... جعلوا الأجيال بين إبراهيم وموسى ستة أو سبعة أجيال وبالاستناد إلى الإسرائيليات: (موسى بن عمران بن "يصهر" بن قاهث بن لاوي بن يعقوب بن إسحق بن إبراهيم). أو(موسى بن عمران بن قهث بن لاوي بن يعقوب بن إسحق بن إبراهيم). ونلاحظ أن يوشع بن نون خليفة موسى تمر سلالته عبر يوسف: (يوشع بن نون بن أفراييم بن يوسف بن يعقوب بن إسحق بن إبراهيم). وهذا يعني وجود ستة أجيال فقط .

إذاً صارت التقديرات من إبراهيم إلى موسى (30 × 7 = 210).

بينما نجد في كتب المؤرخين العرب القدماء: من إبراهيم إلى موسى 565 سنة. ومنهم من جعلها 1000 سنة.

إن المشكلة تكمن في الأساس بقبول الإسرائيليات، كمنطلق في المراجعة. فصارت القضية قضية تصحيح العمليات الحسابية، بينما مصادر الأرقام كلها خزعبلات!!

3- دريني خشبة: أساطير الحب والجمال عند اليونان - المجلد الأول - ص17.

4- سيجموند فرويد: موسى والتوحيد - ترجمة: جورج طرابيشي – ص 45. وراجع أيضاً كتاب "مدينة إيزيس التاريخ الحقيقي للعرب": بيير روسي- ترجمة فريد جحا- مطبعة مؤسسة الوحدة - دمشق.

5- فراس السواح: مغامرة العقل الأولى – ص 165. وهذا الرأي الذي يذكره هو لفرويد.

6- فراس السواح: لغز عشتار- ص 351.

7- فراس السواح: لغز عشتار- ص 345.

8- فراس السواح: لغز عشتار- ص 358.

9- د. جورج قرم: تعدد الأديان وأنظمة الحكم – ص 18- الهامش.

10- ثريا منقوش: التوحيد في تطوره التاريخي – ص 81.

11- هناك من يرى أن مصر التوراتية غير مصر الحقيقية، وهي في مكان آخر: راجع د. جواد علي في كتابه "مفصل تاريخ العرب قبل الإسلام", وراجع أيضاً د. كمال الصليبي في كتابه "التوراة جاءت من

www.alkottob.com

جزيرة العرب"، و د. أحمد داود في كتابه "تاريخ سوريا القديم". فهما يريان أن قصة موسى جرت في غرب الجزيرة العربية "مصرييم". ومصر وادي النيل لم يكن اسمها مصر أبداً في تلك الفترة، بل لم يعرف من ملوكها أحد اسمه فرعون. بينما عرف هذا الاسم في مصرييم في الجزيرة العربية. والإله والتوراة كل ذلك مصدره الجزيرة. وهذه القضية سنناقشها في الملحق الأول في نهاية الكتاب.

12- فراس السواح: مغامرة العقل الأولى – ص 170.

وراجع كتاب قصة الحضارة - المجلد الأول - الجزء الثاني - صفحة 340 "الهامش": (من بين الآثار التي وجدت في كنعان "عام 1931" قطع من الخزف من بقايا عصر البرونز (3000 ق.م) عليها اسم إله كنعاني يسمى ياه أو ياهو).

13- فراس السواح: لغز عشتار- ص 362.

14- فراس السواح: لغز عشتار- ص 374.

15- يوضح د. جورجي كنعان مفهوم اليهود للإله والعلاقة بينهم وبينه، بالمقارنة والموازنة مع شعوب المنطقة وآلهتهم، وما أنتجته العقلية اليهودية وما أنتجه أولئك. وذلك في دراسة ممتعة في كتابه: "أمجاد إسرائيل في أرض فلسطين" من ص 122 إلى ص 146. وهناك كتب عديدة حول هذه القضية وحقيقة اليهود والتوراة، منها: التوراة تاريخها وغاياتها: ترجمة وتعليق سهيل ديب, وأيضاً التوراة بين الوثنية والتوحيد: سهيل ديب. ورد على التوراة: ندرة اليازجي, وأيضاً: رد على اليهودية واليهودية المسيحية...

16- مع الأسف: المؤرخون الغربيون والمستشرقون الأتباع، اعتمدوا التوراة كمصدر تاريخي حقيقي لفلسطين القديمة, سواء أكانت أحداثاً أم شخصيات، دون أن يكلفوا أنفسهم عبء البحث، لأنهم مرتبطون بالاستعمار الغربي. (راجع كتاب الاستشراق للدكتور إدوارد سعيد). وهم وإن أظهروا شيئاً من الشك أو الدهشة، يعودوا لإبداء إعجابهم بعبقرية التوراة وأسفارها، كما فعل ول ديورانت في قصة الحضارة, وكذلك ولز في معالم تاريخ الإنسانية, فهما يتحدثان عن فلسطين القديمة كبلاد لليهود استناداً إلى ما تقوله التوراة. ويمجدون الكثير من الأسفار كأدب رفيع وراقٍ إلى أقصى الحدود. ويكفي كشاهد: أن ديورانت يعد سفر نشيد الإنشاد لسليمان، وسفر أيوب في قمة الأدب!! وهو وإن أشار إلى مصادر سابقة، يستدرك نفسه بأن ذلك لا قيمة له، ويتحدث عن شكسبير الذي لا يبالي أحد بمصادره! ونحن نستغرب هذه الموازنة بين عبقري مبدع، وبين لص!!

17- سهيل ديب: التوراة تاريخها وغاياتها- ترجمة وتعليق – ص 31, وراجع ص 84 وما بعد.

وجاء في كتاب بلادنا فلسطين "الجزء الأول- القسم الأول- صفحة 543- هامش 2" تعليق حول الخروج: (ولم يعثر للآن على أثر مصري أو فلسطيني يشير إلى ذلك إشارة صريحة).

18- فرويد: موسى والتوحيد- ص 47.

19- سهيل ديب: التوراة تاريخها وغاياتها- ترجمة وتعليق- ص 29, 30.

www.alkottob.com

ونحن نتساءل عن وجود اختلافات في بعض الحكايات وجوهرها واحد: وجود جماعة مذلة مهانة ومستعبدة عند الآخرين, وفجأة يظهر مخلص ويخرجهم من الأسر والعبودية / مصر، بابل /؛ موسى يخرجهم من مصر، وقورش يعيد اليهود الأسرى من بابل إلى فلسطين.

وهناك أربعون سنة في التيه، وكذلك الأسر البابلي الجنوبي استمر بضعاً وأربعين سنة. ويكثر الرقم أربعون في سفر القضاة وغيره. فالرقم أربعون ومثله سبعة لهما مدلولان غنوصيان سخيفان!

وقصة ولادة موسى وإلى حد ما قصة ولادة إبراهيم، تشبهان قصة ولادة سرجون.

وقورش الذي شجع هجرة اليهود من بابل إلى كنعان تمهيداً لإنشاء مملكة، كأنما هو يشوع الممهد لقيام الدولة. أو إبراهيم الذي خرج من تلك المنطقة إلى أرض كنعان، حاملاً الوعد ومبشراً بالدولة بناء على العهد!!

وهناك تشابهات كثيرة أخرى، وكلها يكشف السرقات التي تمت!

20- د. أنيس فريحة: ملاحم وأساطير من الأدب السامي- ص 214.

21- سهيل ديب: التوراة تاريخها وغاياتها- ترجمة وتعليق- ص 30.

22- سهيل ديب: التوراة تاريخها وغاياتها- ترجمة وتعليق- ص 31.

23- فراس السواح: مغامرة العقل الأولى- ص 197.

24- فراس السواح: مغامرة العقل الأولى- ص 259.

25- هـ. ج. ويلز: معالم تاريخ الإنسانية - ترجمة عبد العزيز جاويد- المجلد 2 - ص 255. وراجع قصة الحضارة: المجلد الأول- الجزء الثاني.

26- وطنهم: جهل من المؤلف. راجع الملاحظة (16).

27- هـ.ج. ويلز: معالم تاريخ الإنسانية - ترجمة عبد العزيز جاويد- م 2 – ص 243.

28- راجع ملحمة جلجامش في كتاب ملاحم وأساطير من الأدب السامي: أنيس فريحة. وفيه أيضاً قصة الخليقة (ملحمة في العلى عندما). وراجع كنوز الأعماق(قراءة في ملحمة جلجامش) لفراس السواح: وفيها قصة الطوفان، وأيضاً في الصفحة 285 وما بعد تأثير جلجامش على سفر الجامعة، وآدم وحواء وشمشون. وراجع مغامرة العقل الأولى: فراس السواح ص 199.

29- التوراة تاريخها وغاياتها ص 32. (ولعل المقصود التوراة، وفي سفر حزقيال).

ملاحظة:

أهم هؤلاء الكتبة الكاهن عزرا..(عزرا الكاهن الكاتب، كاتب كلام وصايا الرب وفرائضه على إسرائيل) "عزرا 7 / 11". وقد برزت أهمية الكتبة بعد السبي. ويطلق عليهم اسم السوفريم. ثم في القرن الثامن أو التاسع الميلادي استخدم لقب ماسوري أي أستاذ التقليد، وصار النص الذي يكتبونه يسمى بالنص الماسوري.

30- فراس السواح: لغز عشتار- ص 352 .

ملاحظة:

www.alkottob.com

(انظر كتاب أحمد داوود: تاريخ سوريا القديم، بما يتعلق بإبراهيم كشخصية عربية عاشت في الجزيرة العربية، منطقة غامد من جبال السراة، شرقي البحر الأحمر. فهو عربي آرامي من البدو الرعاة).

وجاء في سفر التثنية(26/ 5): (إبراهيم كان آرامياً تائهاً). راجع تكوين (24/ 3-10)، (25/ 20)، (27/ 43)، (28/ 2-5)، (31/ 20)... فهذه الآيات تتحدث عن العشيرة الآرامية التي ينتمي إليها إبراهيم وأبناؤه من بعده.

31- ثريا منقوش: التوحيد في تطوره التاريخي- ص 35.

32- د. أحمد داود: تاريخ سوريا القديم- ص 361 .

33- الكتاب السابق ص 204.

34- فراس السواح: مغامرة العقل الأولى- ص 338.

35- سهيل ديب: التوراة بين الوثنية والتوحيد- ص 55 وما بعد.

وراجع مغامرة العقل الأولى. وقصة الحضارة - الجزء الثاني- ص 169 وما بعد ، حيث قصيدة أخناتون.

36- فراس السواح: لغز عشتار- ص 194.

37- جاء في دائرة المعارف الكتابية:

(وخطأ قدامى المفسرين لنشيد الإنشاد على أساس أنه قصة رمزية، لم يكن في نظرتهم إلى السفر باعتباره صورة رمزية لمحبة الله للبشر، بل بالحري لفشلهم في رؤية ما في المحبة البشرية من جمال وروعة. فهذه المحبة هي أساس الصورة الرمزية. فإذا كانت المحبة البشـــرية "رومانسية كانت أو جنسية" تحتقر أو تعتبر شيئاً نجساً، فلا معنى إطلاقاً في اعتبارها أساساً للتعليم عن محبة الله للجنس البشري. فيلزم أن تكون هناك نظرة متسامية إلى المحبة البشرية، لإمكان إدراك الأعماق اللاهوتية الصحيحة - لسفر نشيد الإنشاد. نشيد الإنشاد وجد له مكاناً بين أسفار الكتاب المقدس، على أساس تفسير اليهود له باعتباره قصة رمزية).

38- دائرة المعارف الكتابية (Cd.Rom).

39- جرجي زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية- ج 1 - ص 27.

40- جرجي زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية- ج 1 - ص 27.

41- دائرة المعارف الكتابية (Cd.Rom) (مادة حمورابي، قوانين حمورابي). الموسوعة العربية الميسرة ص 740. وراجع دراسات في تاريخ الحقوق المؤسسات الحقوقية في بابل: د. شفيق الجراح ص 46 وما بعد. وراجع أيضاً "قصة الحضارة": ول ديورانت- المجلد الأول. وراجع كتاب "تاريخ سوريا القديم: د. أحمد داود- صفحة 442 وما بعد. ونصوص شريعة حمورابي مطبوعة ومتداولة.

في عام 1902 اكتشفت بعثة فرنسية حجراً ارتفاعه 2.25 ومحيطه متران تقريباً، عليه نقش بارز لصورة وكتابة على أربعة وأربعين عموداً من الكتابة المسمارية القديمة. وفي الصورة حمورابي يتسلم من إله الشمس صولجاناً وخاتماً والشريعة. وهذا النصب موجود في متحف اللوفر في باريس.

42- ندرة اليازجي: رد على التوراة- ص 164. الهامش نقطة 19.

43- ول ديورانت: قصة الحضارة- المجلد الأول- الجزء الثاني- ص 187.

www.alkottob.com

44- ولا ننسى أن هناك قضايا كثيرة أخرى سرقها العهد القديم، ولم نتعرض لها لأن ما قدمناه، يعطي صورة كافية, ويسقط نسبة تلك الأساطير إلى الله.

راجع: مغامرة العقل الأولى: فراس السواح، للاطلاع على سرقات أخرى، مثل: الجنة السومرية ص 319 - والجنة البابلية ص 323 - الجحيم السوميري ص 363 - والجحيم البابلي ص 373. وراجع كتاب "التوراة جاءت من جزيرة العرب" د. كمال الصليبي ص 271 - زيارة لعدن: فهو يرى أن عدن (الجنة) في جنوب الجزيرة العربية. وراجع كتاب أحمد داود "تاريخ سوريا القديم"، فهو ككمال الصليبي ينقل أحداث التوراة إلى الجزيرة العربية.

كما نرى عنده: أن آدم وحواء وقابيل وهابيل وقصة الطوفان، من أصل سومري.

ونلاحظ أن العهد القديم استخدم قليلاً كلمة جهنم الآرامية، وهي في العبرية جهنوم "وادي هنوم" أو "وادي بن هنوم"، ولربما هي اسم لوثن من الأوثان.

45- ما قبل الفلسفة (الإنسان في مغامرته الفكرية الأولى): ترجمة جبرا إبراهيم جبرا - ص 267.

46- راجع الكتب التالية لترى الاقتباس والإبداع عند اليونان: قصة الحضارة: ول ديورانت - حياة اليونان- المجلد الثالث. أساطير الحب والجمال عند اليونان: دريني خشبة - المجلد الثاني- أسطورة الطوفان وهرقل... وراجع المسرح (ثلاثة آلاف سنة من الدراما والتمثيل والحرفة المسرحية)- الجزء الأول: شلدون تشيني- ترجمة: حنا عبود - المعهد العالي للفنون المسرحية- دمشق 1998.

* * *

www.alkottob.com

منح اليهود فلسطين أرضاً أبدية لهم

تمهيد:

آ- جاء في سفر التكوين الإصحاح (7/17) كلم الله إبراهيم: (وأقيم عهدي بيني وبينك وبين نسلك من بعدك في أجيالهم عهداً أبدياً لأكون إلهاً لك ولنسلك من بعدك (8/17) وأعطي لك ولنسلك من بعدك أرض غربتك كل أرض كنعان "1" ملكاً أبدياً وأكون إلههم) .

وأيضاً في سفر التكوين (15/ 18): (في ذلك اليوم قطع الرب مع إبرام ميثاقاً قائلاً: لنسلك أعطي هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات).

ب- وجاء في وعد بلفور 2 ت 2, 1917 ما يلي:

(إن حكومة جلالته لتنظر بعين الارتياح إلى إنشاء وطن قومي في فلسطين للشعب اليهودي وستبذل أطيب مساعيها لتسهيل بلوغ هذه الغاية).

[من رسالة اللورد بلفور وزير خارجية بريطانية إلى اللورد روتشيلد] .

ج- (فالصهيونية المتجسدة في دولة إسرائيل ليست بنت وعد بلفور كما يدعي للأسف الشديد معظم الدارسين، وإنما هي بنت الوعد الأول؛ وعد الله لإبراهيم في حدود القرن التاسع عشر قبل الميلاد. وليست صنيعة هرتزل نبي الصهيونية في أواخر القرن التاسع عشر بل هي صنيعة موسى نبي الصهيونية الأول).

(وثيقة الصهيونية في العهد القديم: د. جورجي كنعان ص 21)...

في هذا الفصل لا نستطيع أن نفصل نقد الدين عن السياسة، لأن الموضوع بطبيعته سياسي في الدرجة الأولى، والديانة اليهودية قائمة على عنصرية الشعب وأرض الميعاد!!

* * *

لقد اختلق اليهود في عهدهم القديم قضية أرض الميعاد، وهم في الأسر البابليّ (إن صحت الرواية), ونسبوا الوعد الملفق إلى الله أو لنقل إلى يهوه القبلي.

فيهوه وعدهم بأرض فلسطين لتكون لهم وطناً، **وهو يتجاهل شعبها**، حيث لا قيمة لوجوده في نظره!

والقارئ للعهد القديم بموضوعية بعيداً عن الوهم الديني المصطنع، وبعيداً عن التفسير الرمزي، والتأويل المسقط، وبعيداً عن الظاهر والباطن، يكتشف حقيقة ذاك العهد، وتلك التوراة!

فالعهد القديم وبدءاً من التوراة يجعل يهوه يمنح، أرض كنعان - فلسطين- بني إسرائيل، وهم الغرباء عنها.

فيهوه يأمر إبراهيم، بمغادرة أرض عشيرته إلى الأرض الجديدة التي كتبها له:

(وقال الرب لأبرام اذهب من أرضك ومن عشيرتك ومن بيت أبيك إلى الأرض التي أريك فأجعلك أمة عظيمة وأباركك وأعظم اسمك وتكون بركة وأبارك مباركيك ولاعنك ألعنه. وتتبارك فيك جميع قبائل الأرض) (2).

ويتجه إبراهيم نحو أرض كنعان:

(وكان الكنعانيون حينئذ في الأرض وظهر الرب لأبرام وقال: **لنسلك أعطي هذه الأرض**) (3) .

www.alkottob.com

وبعد أن يعتزل إبراهيم لوطاً وينفصلان عن بعضهما يخاطبه الرب:

(ارفع عينيك وانظر من الموضع الذي أنت فيه شمالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً لأن جميع الأرض التي أنت ترى لك أعطيها ولنسلك إلى الأبد) (4). ويتابع: (قم امش في الأرض طولها وعرضها لأني لك أعطيها) (5).

كما يخاطب الرب إبراهيم أيضاً:

(أنا الرب الذي أخرجك من أور الكلدانيين ليعطيك هذه الأرض لترثها) (6).

ويعقد الله ميثاقاً مع إبراهيم:

(في ذلك اليوم قطع الرب مع أبرام ميثاقاً قائلاً: **لنسلك أعطي هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات) (7).**

هذه وعود الرب لإبراهيم (8) وهي كما نرى واضحة الدلالة... وهي تتكرر مع نسل إبراهيم بدءاً من إسحق...

فالرب يخاطب إسحق:

(تغرب في هذه الأرض فأكون معك وأباركك لأني لك ولنسلك أعطي جميع هذه البلاد وأفي بالقسم الذي أقسمت لإبراهيم أبيك. وأكثر نسلك كنجوم السماء وأعطي نسلك جميع هذه البلاد وتتبارك في نسلك جميع أمم الأرض) (9) .

ويذهب يعقوب إلى حاران ليتزوج من عشيرة آبائه/ وهم وثنيون/ كما أوصاه أبوه إسحق. وفي الطريق يتعب وينام، فيتراءى له الرب ويخاطبه:

(أنا الرب إله إبراهيم أبيك وإله إسحق. الأرض التي أنت مضطجع عليها أعطيها لك ولنسلك. ويكون نسلك كتراب الأرض وتمتد غرباً وشرقاً وشمالاً وجنوباً. ويتبارك فيك وفي نسلك جميع قبائل الأرض. وها أنا معك وأحفظك حيثما تذهب وأردك إلى هذه الأرض. لأني لا أتركك حتى أفعل ما كلمتك به) (10).

كما يظهر الرب ليعقوب حين جاء من فدّان آرام وباركه وقال له:

(اسمك يعقوب. لا يدعى اسمك فيما بعد يعقوب. بل يكون اسمك إسرائيل فدعا اسمه إسرائيل. وقال له الله: أنا الله القدير. أثمر وأكثر. أمة وجماعة أمم تكون منك. وملوك سيخرجون من صلبك. والأرض التي أعطيت إبراهيم وإسحق لك أعطيها. ولنسلك من بعدك أعطي الأرض) (11).

والوعد يستمر عبر موسى أيضاً، فالرب يفتقد بني إسرائيل وما صنع بهم في مصر فيخاطب موسى:

(فقلت أصعدكم من مذلة مصر إلى أرض الكنعانيين والحثيين والأموريين والفرزيين والحويين واليبوسيين إلى **أرض تفيض لبناً وعسلاً**) (12).

كما يكلم الله موسى:

(**أقمت معهم عهدي أن أعطيهم أرض كنعان** أرض غربتهم التي تغربوا فيها) (13).

وأيضاً:

www.alkottob.com

(وأتخذكم لي شعباً وأكون لكم إلهاً فتعلمون أني أنا الرب إلهكم الذي يخرجكم من تحت أثقال المصريين وأدخلكم إلى الأرض التي رفعت يدي أن أعطيها لإبراهيم وإسحق ويعقوب وأعطيكم إياها ميراثًا) (14).

ويخبر الله موسى بأنه سيرسل ملاكاً ليسير أمام موسى وشعبه باتجاه كنعان:

(فإن ملاكي يسير أمامك ويجيء بك إلى الأموريين والحثيين والفرزيين والكنعانيين والحويين واليبوسيين فأبيدهم) (15).

وأيضاً:

(قليلاً قليلاً أطردهم من أمامك إلى أن تثمر وتملك الأرض. وأجعل تخومك من بحر سوف إلى بحر فلسطين ومن البرية إلى النهر. فإني أدفع إلى أيديكم سكان الأرض فتطردهم من أمامك) (16).

ويعلمه الله التجسس على الأرض التي سيعطيها بني إسرائيل، كلم الرب موسى قائلاً:

(أرسل رجالاً ليتجسسوا أرض كنعان التي أنا معطيها لبني إسرائيل) (17).

ويطلب الله من موسى دخول أرض كنعان ليمتلكها هو وقومه:

(انظر قد جعلت أمامكم الأرض. ادخلوا وتملكوا الأرض التي أقسم الرب لآبائكم إبراهيم وإسحق ويعقوب أن يعطيها لهم ولنسلهم من بعدهم) (18).

ويغريهم الرب بأرض الخيرات:

(لأن الرب إلهك آتٍ بك إلى أرض جيدة، أرض أنهار من عيون وغمار تنبع في البقاع والجبال. أرض حنطة وشعير وكرم وتين ورمان. أرض زيتون زيت وعسل. أرض ليست بالمسكنة تأكل فيها خبزاً. ولا يعوزك فيها شيء. أرض حجارتها من حديد ومن جبالها تحفر نحاساً. فمتى أكلت وشبعت تبارك الرب إلهك لأجل الأرض الجيدة التي أعطاك) (19).

والرب سيعبر أمام بني إسرائيل كنار تأكل أعداءهم:

(اسمع يا إسرائيل أنت اليوم عابر الأردن لكي تدخل وتمتلك شعوباً أكبر وأعظم منك. ومدناً عظيمة ومحصنة إلى السماء. قوماً عظاماً وطوالاً بني عناق الذين عرفتهم وسمعت من يقف في وجه بني عناق. فاعلم اليوم أن **الرب إلهك هو العابر أمامك ناراً آكلة**. هو يبيدهم ويذلهم أمامك فتطردهم وتهلكهم سريعاً كما كلمك الرب) (20).

ومشاركة الرب لهم في هذا الأمر، وإعطاؤهم الأرض هو نتيجة إثم الشعوب، ونتيجة الوعد الذي التزم به:

(ليس لأجل برك وعدالة قلبك تدخل لتمتلك أرضهم بل لأجل إثم أولئك الشعوب يطردهم الرب إلهك من أمامك، ولكي يفي بالكلام الذي أقسم الرب عليه لآبائك إبراهيم وإسحق ويعقوب) (21).

ويكرر يهواهم وقوفه إلى جانبهم في احتلالهم، وبث الرعب في قلوب سكان الأرض:

(يطرد الرب جميع هؤلاء الشعوب من أمامكم فترثون شعوباً أكبر وأعظم منكم. كل مكان تدوسه بطون أقدامكم يكون لكم. من البرية ولبنان من النهر نهر الفرات إلى البحر الغربي يكون تخمكم. لا يقف إنسان في وجهكم، الرب إلهكم يجعل خشيتكم ورعبكم على كل الأرض التي تدوسونها كما كلمكم) (22).

www.alkottob.com

ليست هذه الآيات فقط حول منح الأرض لبني إسرائيل، فهناك غيرها كثير. وهناك في الأسر البابلي النواح والمراثي.. إلا أن الآية الموجهة إلى موسى: (لأن الرب إلهك آتٍ بك إلى أرض جيدة، أرض أنهار من عيون وغمار تنبع في البقاع والجبال. أرض حنطة وشعير وكرم وتين ورمان. أرض زيتون زيت وعسل. أرض ليست بالمسكنة تأكل فيها خبزاً. ولا يعوزك فيها شيء. أرض حجارتها من حديد ومن جبالها تحفر نحاساً. فمتى أكلت وشبعت تبارك الرب إلهك لأجل الأرض الجيدة التي أعطاك)، وحكاية بني دان التي وردت في سفر القضاة الإصحاح (18/ 1- 30)، تلخصان الجوهر الاستعماري للعهد القديم كله! وحكاية هؤلاء ملخصها: عصابة متشردة جوالة عاطلة عن العمل تبحث عن مكان للاستيلاء عليه لتأمين حياتها ودون أن تتعب أو تجد. وهذه بعض الآيات منها لتوضيح الصورة (8- 11): (فذهب الخمسة الرجال وجاءوا إلى لايش ورأوا الشعب الذين فيها ساكنين بطمأنينة كعادة الصيدونيين مستريحين مطمئنين وليس في الأرض مؤذ بأمر وارث

رياسة وهم بعيدون عن الصيدونيين وليس لهم أمر مع إنسان. وجاءوا إلى إخوتهم إلى صرعة واشتأول، فقال لهم إخوتهم ما أنتم.

فقالوا قوموا نصعد إليهم لأننا رأينا الأرض وها هي ذي جيدة جداً وأنتم ساكتون. لا تتكاسلوا عن الذهاب لتدخلوا وتملكوا الأرض.

عند مجيئكم تأتون إلى شعب مطمئن والأرض واسعة الطرفين. إن الله قد دفعها ليدكم. مكان ليس فيه عوز لشيء مما في الأرض. فارتحل من هناك من عشيرة الدانيين من صرعة ومن اشتأول ست مئة رجل متسلحين بعدة الحرب). (27- 30): (وأما هم فأخذوا ما صنع ميخا والكاهن الذي كان له وجاءوا إلى لايش إلى شعب مستريح مطمئن وضربوهم بحد السيف وأحرقوا المدينة بالنار.

ولم يكن من ينقذ لأنها بعيدة عن صيدون ولم يكن لهم أمر مع إنسان وهي في الوادي الذي لبيت رحوب. فبنوا المدينة وسكنوا بها. ودعوا اسم المدينة دان باسم دان أبيهم الذي ولد لإسرائيل. ولكن اسم المدينة أولا لايش. وأقام بنو دان لأنفسهم التمثال المنحوت وكان يهوناثان ابن جرشوم بن منسّى هو وبنوه كهنة لسبط الدانيين إلى يوم سبي الأرض).

تلك الآيات وغيرها تعطي صورة واضحة عن القضية، عن حقيقة جوهر العهد القديم العنصري والاستعماري!!

فبنو إسرائيل بدو متخلفون وهم غرباء عن فلسطين.. وفي فلسطين شعوب (23) هم أعظم وأكثر عدداً من بني إسرائيل، وهم مسالمون وآمنون، ويمتلكون الأرض والخيرات. لكن اليهود أنطقوا يهوه بأن يعطيهم أرض الخيرات التي لن يحتاجوا فيها إلى أي شيء. وجعلوه يطلب منهم إبادة شعبها كله لأنه آثم. وجعلوه يساهم معهم في حرب الإبادة، ويلقي الرعب والخوف في صفوف أعدائهم!

كما جعلوه يرسم لهم حدود الدولة فهي ليست فلسطين فقط، إنما من نهر النيل إلى نهر الفرات (24)...

فالنصوص واضحة الدلالة، وليست رموزاً كما يدعي بعض المؤمنين بها.. فهي بعيدة كل البعد عن أن تكون رمزية وتحتاج إلى التفسير الباطني أو التأويل، وليست مجازات تشبيهية واستعارات، فهي حرفية

www.alkottob.com

واضحة... لذلك **تلك الوعود تثبت أن يهوه انعكاس لما يريده الكتبة الطامعون بأرض كنعان، وهو لا يتسم بالعدل والإنصاف**.

وهو "أي يهوه" ووعوده المتكررة لا يمثل إلا هدفاً ينشده اليهود، وهم تحت وطأة الأسر في بابل/ إن صح الحدث/، تحت وطأة العبودية. وهو يمثل العنصرية الصهيونية التي تعني إعطاء اليهود أرضاً ليست لهم وباعتراف النص التوراتي...

يقول د. جورجي كنعان:

(إن الصهيونية ليست وليدة القرن التاسع عشر نتيجة الاضطهاد الذي عانى منه اليهود كما يحلو للمؤرخين وإنما هي تضرب جذورها في أرض التوراة وقد أنبتها السبي البابلي في القرن السادس قبل الميلاد حين كان أبناء السبي يرنون بأبصارهم صوب صهيون يندبون المجد الزائل وتغنون بالمجد الآتي "على أنهار بابل هناك جلسنا بكينا عندما تذكرنا صهيون. إن نسيتك يا أورشليم تنسى يميني، ليلتصق لساني بحنكي إن لم أذكرك، إن لم أفضل أورشليم على أعظم فرحي", "مزمور 137". فهذه الكلمات تمثل بذور الصهيونية وقد بقيت فكرة الصهيونية ودولة إسرائيل حية في كلمات هذا المزمور وغيره من أسفار العهد القديم) (25).

ويرى أن الديانة اليهودية والصهيونية والقومية العنصرية شيء واحد:

(الدين اليهودي يتضمن جميع مبادئ الصهيونية، والصهيونية متجذرة في الدين اليهودي ولا وجود لحدود فاصلة بين شريعة اليهود الدينية وبين مقومات قوميتهم، لأن الشريعة اليهودية تتلخص في تمجيد عنصرهم وتقديس عرقهم وتبشيرهم بأنهم شعب الله المختار ووعدهم بأرض يخطط حدودها الرب) (26).

ويتحدث ندرة اليازجي عن وعد يهوه لإبراهيم:

(تذكر التوراة أن الإله "يهوه" يأمر إبراهيم بترك الأرض التي يقطنها ليمضي إلى الأرض التي يعطيها له ولنسله وتذكر أيضاً أن الإله "يهوه" ذاته يعطيه ويعطي موسى وشعبه الأرض الواقعة بين الفرات والنيل.

وفي هذين القولين تناقض ظاهر وأكيد. في القول الأول يأمره يهوه بترك أرضه ليعطيه أرضاً أخرى يقطنها أناس آخرون "تعتبر مقدسة" وفي القول الثاني يعطيه الأرض التي يأمره بمغادرتها فأين القدسية في الموضوع؟ وأي أرض منهما تعد مقدسة؟ وإذا كانت الأرضان مقدستين فلماذا يأمره بمغادرة الأولى؟ ولماذا لم يعطه يهوه الأرض كلها دفعة واحدة قبل أن يغادر الأولى؟ ولماذا لم يأمره أن يظل مقيماً في الأرض التي يسكنها إن كانت المسألة قضية عبادة فقط؟ ألا يدل هذا على فكرة توسعية ورد فعل عنيف من جماعة إبراهيم وموسى ليتسلطا على المنطقة كلها؟ أيكون هذا الوعد وعد إله محبة أم كلام إله قومي؟) (27).

ويعلل تنقلات إبراهيم في المنطقة:

(كان يمتهن الرعي بل يعبد إله الرعي، يهوه. ولذا لم يكن انتقاله إلى فلسطين ومن ثم إلى مصر إلا نتيجة حتمية لامتهان الرعي وعندما قطن فلسطين بشر بمبادئه) (28).

إن إبراهيم عد نفسه غريباً عن فلسطين، وكانت أمنيته على أرض الواقع مساحة قبر لزوجته سارة:

www.alkottob.com

(أنا غريب ونزيل عندكم أعطوني ملك قبر معكم لأدفن ميتي من أمامي) (29).

ويتكرم سكان فلسطين عليه بأفضل مكان:

(فقام إبراهيم وسجد لشعب الأرض لبني حث) (30).

لقد وهبه عفرون الحثي حقلاً ومغارة أعجبت إبراهيم.. وصار المكان مدفناً لإبراهيم ومن بعده. حتى يوسف جلبوا عظامه من مصر إلى المدفن العائلي كما تروي التوراة!

ومع موسى والخروج - كما تذكر التوراة - يبدأ الاستعداد لغزو أرض كنعان / فلسطين/ ويخفق موسى، فيلعن كنعان، ويبقى أربعين سنة في التيه!!

يتحدث ندرة اليازجي عن موسى وإخفاقه، ويعلل سبب الإخفاق، ولعن كنعان، قائلاً:

(أما من حيث الواقع فإن موسى كان قائداً زمنياً قاد شعبه تحت شعار إله. أما مسألة التيه في الصحراء فإنها تشير إلى عجز موسى وشعبه عن فتح أرض فلسطين. ولما كان الشعب الذي قاده موسى لا يجيد الحرب فإنه لم يستطع أن ينتصر على شعب فلسطين وبلاد كنعان فكان عليه أن ينتظر مجيء جيل ثان، جيل فتي يحارب ويقاوم فليس التيه علاقة بإله بقدر ما هو عجز شعب إسرائيل عن اقتحام البلاد.

وتثور ثائرة موسى على كنعان: كنعان المسالم الذي يعبد إلهاً حقيقياً. فيلعنه موسى لأنه قاوم ولم يستسلم ويلعن أبناء نوح بأجمعهم ويجعلهم خداماً لسام الذي يعتبره الشعب اليهودي جدهم. ولما كانت التوراة تذكر أن أبناء نوح قد تشتتوا في العالم ومنهم تحدر الأمم فقد توجب أن يخضع الأمم لسام ليكونوا عبيداً لليهود. ومن هنا نشأت فكرة الشعب المختار. والحقيقة أن الشعب المختار هو مختار يهوه، إله الغضب. فإذا كان يتحدر من صلب إبراهيم فإن الأمم تجثوا أمامه. ولهذا يعلن موسى كرهه للشعوب فيوصي شعبه أن يحب اليهودي اليهود ويكره الآخرين ذلك لأن يهوه أمر بهذا) (31).

ثم بدأ مسلسل اقتحام أرض كنعان في عهد يشوع، ومعه بدأت جرائم بني إسرائيل في فلسطين. وقد تحدثت الديانة اليهودية في العهد القديم عن تلك الجرائم ودون خجل!!

هذه هي وعود التوراة والعهد القديم لبني إسرائيل لإنشاء دولة في فلسطين، بل دولة من النيل إلى الفرات...

تتحدث الكاتبة ثريا منقوش عن فكرة إنشاء الكيان اليهودي المستقل:

(إن محاول التوراة إبراز الحوادث التي وقعت لليهود وإظهار الشخصيات التي لها صلة بهم على حد رأيهم قد جاء ليؤدي غرضه السياسي في محاولة لإظهار عراقة اليهود في المنطقة وقدم وجودهم البشري على غيرهم من أقوام الجزيرة ليدعّم فكرة إنشاء كيان مستقل لهم يعتمد على جذور تاريخية ضاربة في القدم والأصالة خاصة بعد السبي البابلي. وقد جاء تسجيل حوادث التوراة خدمة لمحاولة "قورش" التي كانت تهدف إلى إقامة دولة يهودية في فلسطين لحماية الحدود الغربية للإمبراطورية الفارسية من الهجمات البيزنطية من جهة الغرب. ولقد أصدر قراره بعودة اليهود إلى فلسطين لبناء دولتهم على ظهرانيها. فسخروا خدمة لهذا الهدف كافة طاقاتهم المادية الفكرية وأعدوا مدونتهم التاريخية "التوراة" لتلعب دورها في هذا الاتجاه) (32).

www.alkottob.com

إن الآراء تعددت حول حقيقة دولة بني إسرائيل والوعد والدوافع، ويمكن أن نحلل الكثير والكثير حول ذلك، ولكن تبقى القضية الأساسية؛ وهي أن الانطلاق عند المحللين هو من مسلمة، تفترض صحة ما جاء في العهد القديم. فسواء أكان الوعد بدءاً من إبراهيم أم موسى أم من الأسر البابليّ، فهو وعد لا أخلاقي, وهو لا يستند إلى دليل علمي أو أخلاقي. فورود نص في العهد القديم أي نص كان، ليس دليلاً على شيء. لأن العهد كله غير ثقة ولا يتصف بالصدق. والتحليل العلمي إنما يكون بعد المعطيات الصحيحة والسليمة قيمياً. ومن هنا يمكن الاستنتاج بأنه **لا يصح أن نحلل التاريخ، وأن ندرسه بالاستناد إلى العهد القديم، وهو ساقط علمياً وأخلاقياً؛ نصاً، وعلى أرض الواقع!**

فالعهد القديم ولا سيما التوراة هو بنظر معتنقيه نص ديني وتاريخي، لذا يجب دراسته من هذه الزاوية، ومن جانبين: الأول مصادر هذا النص وصحته تاريخياً. والثاني التطابق بين النص وبين نسبته إلى المطلق... فالجانب الأول أعطى حكمه القطعي، والجانب الثاني لا يقل حسمه عن الأول.

فالوعد زيف ويتنافى مع الكمال المطلق، وهو من صنع دماغ اليهودي وقد أسقطه على الإله يهوه. فالله هو الحق والعدل، ولا يمكن أن تصدر عنه تلك التفاهات، وهذا يعني تساقط النص وتساقط يهوه نفسه!!

فهل من العدل أن تُعطى أرض يقطنها شعب مسالم، لشعب آخر. وهل من العدل أن يشجع إنسان همجي على الاعتداء على إنسان مسالم، وقتله، وأخذ ممتلكاته وبيته، والتمتع بما يملك؟ وهل من العدل جعل زوجته مسبية له، وأولاده عبيداً له؟!

إن ما يدعيه العهد القديم يتنافى مع العدل ومع الأخلاق.. ومع الحرية والديموقراطية، والكرامة الإنسانية!! والادعاء ذاك تم تحت ستار وهمي، يفرز الناس فيه إلى مؤمنين يحق لهم كل شيء، ووثنيين يجب أن يحرموا من كل شيء!

والمثير للضحك أن إبراهيم يوصي ابنه إسحق أن يتزوج من عشيرته في حاران، لأن بنات كنعان وثنيات. مع العلم أن التوراة تقول عن بنات حاران إنهن وثنيات! وكذلك يوصي إسحق يعقوب لأن بنات كنعان وثنيات، مع العلم أن بنات عشيرته وثنيات أيضاً، وبحسب التوراة!! ويوسف تزوج مصرية وثنية، وإسماعيل تزوج مصرية وثنية، وسليمان تزوج وثنيات!! **إذاً ليست القضية قضية إيمان ووثنية!**

والتاريخ - وليس العهد القديم- يقول لنا: إن الكنعانيين كانوا أكثر توحيداً من بني إسرائيل أنفسهم (كما صوروا هم أنفسهم في كتابهم)! وفي عهد إبراهيم، كان ملكي صادق أكثر من إبراهيم التوراتي نفسه توحيداً وإيماناً كما مر سابقاً. فكيف يأخذ يهوه أرض الموحد ملكي صادق، ليعطيها إلى إبراهيم!؟

إذاً القضية لا تكمن في الإيمان والوثنية، إنما تكمن في وضع هدف طُفيليّ لحثالة تعيش عالة على الآخرين أولاً، وهو سرقة ونهب الأرض وسلب سكانها حقوقهم. ثم توضع التبريرات التي تبيح ذلك ثانياً. وفي التوراة كانت التبريرات هي الإيمان والوثنية!

لذا نقول إن **كل يهودي مؤمن بتوراته هو صهيوني، لأنه مؤمن بعنصرية الجنس المتفوق وبالوعد الإلهي له** بأرض فلسطين.. فكل يهودي هو بالضرورة صهيوني، إلا إذا رفض واستنكر العنصرية والوعد.

www.alkottob.com

وكل غير يهودي، يؤمن بعنصرية الجنس والوعد، هو صهيوني بالضرورة. وما أكثر الصهاينة من غير اليهود (33)! فهم صنعوا دولة للكيان الإسرائيلي وتحمسوا له أكثر من اليهود!

وسواء أكانت فلسطين هي أرض الميعاد، أم أية أرض أخرى، فهذا لا يلغي جوهر العنصرية القائمة على الشعب المختار، والإله المحتكر، والأرض الموعودة (34).

والمتتبع لآثار الوعد وتبعاته عبر التاريخ، يرى خداع الإيديولوجيا الدينية حول قضية الأرض!

فالوعد مر في مراحل متعددة، وانعكس بشكل مؤلم على فلسطين في مراحله الأخيرة، وسنذكر **هنا أهم تلك المراحل:**

المرحلة الأولى: وتمثلها التوراة: إبراهيم وبنوه ثم موسى فيما بعد. ووصلت إلى ذروتها - كما يدعي العهد القديم- بإنشاء مملكة داود... ولا علاقة لليهود إثنياً بهؤلاء!

المرحلة الثانية: كانت على يد قورش الذي فكر بإنشاء مملكة لليهود في فلسطين كما مر سابقاً.

المرحلة الثالثة: ظهرت في إمبراطورية الخزر.

يقول كوستلر:

(ففي القرن الثاني عشر الميلادي قامت في خازاريا حركة للخلاص وكانت محاولة بدائية اصطبغت بالصليبية اليهودية واستهدفت استعادة فلسطين بقوة السلاح وكان مؤسسها يهوديا خزرياً يدعى سليمان بن دوجي أو "روهي" أو "روى" يساعده ولده مناحيم وكاتب فلسطيني) ، (وكتبوا خطابات إلى كل اليهود البعداء والأدنين في كل البلاد المحيطة بهم... يقولون إنه قد حان الوقت الذي يجمع الله فيه شعبه إسرائيل من كل البلاد إلى أورشليم: المدينة المقدسة، وذكروا أن سليمان بن دوجي هو إيليا وأن ابنه هو المخلّص المنتظر) (35).

ويذكر أن الابن مناحيم تسمى باسم دواد الروي وجعل كنيته المخلّص المنتظر، وجمع جيشاً. ويقال إن درع داود المسدس الذي يزين علم إسرائيل الحديثة قد بدأ ظهوره مع الحركة الصليبية لداود الروي. وقد كانت حملته المحمومة أقرب إلى الخيال ومات غيلة (36).

وفي عهد صلاح الدين الأيوبي لعب طبيبه الخاص موسى بن ميمون، وهو من أحبار اليهود وفلاسفتهم، دوراً:

(وأثراً كبيراً في فتح فلسطين مرة أخرى للمستوطنين اليهود) (37).

المرحلة الرابعة: فكر نابليون بونابرت بإنشاء وطن لليهود في فلسطين، في سبيل خدمة أطماعه مستغلاً فكرة أرض الميعاد. وكذا فكر غيره في أوروبا، كالألمان للهدف نفسه.

المرحلة الخامسة: تجلت في الحركة الصهيونية التي ظهرت في أوروبا (38). ومن المعروف أن يهود أوروبا هم من أصول خزرية، ولا ينتمون إلى اليهود الذين عاشوا في فلسطين، كما يقول المؤرخون المؤمنون بوجود اليهود قديماً في فلسطين.

فاليهود يقسمون إلى سفارديم وأشكنازيم. والسفارديم هم سلالة اليهود الذين عاشوا في إسبانيا إلى أن طردوا منها في نهاية القرن الخامس عشر الميلادي، واستقروا في حوض البحر المتوسط والبلقان، وبشكل

www.alkottob.com

جزئي في أوروبا الغربية. أما الأشكناز فهم الخزر الذين استقروا في حوض الراين، ولا سيما في ألمانيا وشرق أوروبا.. ونتيجة الوعد التوراتي تمسك هؤلاء - وزيفاً- بفلسطين. فاليهودي المؤمن بدينه، وإن كانت جنسيته من أقاصي الأرض، يدعي بأنه يؤمن بفلسطين وطناً منحه إياه الرب، وهو يعلم تماماً بأن اليهودية دين وليست إثنية. كما يعلم بخرافة وزيف ارتباطه بفلسطين، بل ويدرك تماماً أن انتماءه لليهودية لن يغير جنسيته، ولن يصير من نسل إبراهيم!!

وتجدر الإشارة إلى أننا نناقش الأمر من منظار نقد الدين، وهذه وجهة نظر الدين وما خلفه من أخطاء. ولسنا في إطار دراسة المشروع الصهيوني من الناحية السياسية والاجتماعية والاقتصادية!

فما علاقة اليهودي الأوروبي بفلسطين أو بنوح أو بإبراهيم!؟ أو ما علاقة اليهودي من أية قارة هو بفلسطين، أو بوعود يهوه لنسل إثني محدد!؟ وهل دخول الدين اليهودي يحول إثنية/ عرق/ قومية المتدين!؟ بل ما علاقة المسيحي الأوروبي بمؤازرة اليهودي في علاقته بفلسطين!؟

أو ليس الإيمان بالدين إيديولوجياً (براجماتية وميكافيلية) هو الذي خلق هذه الإشكالات عبر التاريخ!؟

ولو لم ينطق اليهود يهواهم بذاك الوعد، ولو لم يتم الدمج المزيف بين الدين والجنس، لما كانت هناك قضية اسمها "دولة الكيان الإسرائيلي"!

ولكن يجب أن ننتبه إلى أن القضية لم تبدأ مع وعد يهوه فقط، فالإرهاصات الأولى بدأت مع لعنة نوح لكنعان.

فاللعنة تعني إخراج وطرد الكنعانيين الذين هم أصحاب الأرض من رحمة يهوه (طرد شعب/ جنس/ عرق)، وتثبيت بقية أولاد نوح على الأرض، ضمن إرادة يهوه. ونلاحظ أن موسى عندما أخفق في دخول أرض كنعان، لعن الكنعانيين أيضاً, فكأنما نوح هو موسى!!

ولو عدنا إلى سفر التكوين، نجد أن الله يعاقب آدم أبا البشرية عندما ارتكب المعصية، بالخروج من الجنة، وبرؤيته لذاته العارية.

ونوح، وهو أبو البشرية الثاني من بعد الطوفان كما تدعي التوراة، ينزل عقوبة اللعنة الأبدية على كنعان، لأن أباه حام رأى عورته، أي عورة نوح، وأخبر بذلك أخويه. فرؤية العورة مع آدم، جزء من العقاب. ومع نوح تصير رؤية العورة سبباً للعقاب الأبدي! وشتان بين رؤية الذات للعورة كتجسيد للشعور بالخطيئة، ورؤية الآخرين لها كمدخل للعقاب.

فكأنما كنعان نفسه ونسله، عليهم أن يدفعوا ثمن الخطيئة الأولى وإلى الأبد. وكنتيجة ثانية للعقاب يخرج آدم من الجنة، وبالمقابل على بني كنعان، أن يخرجوا من الأرض التي هم عليها. وفي النتيجة الأرض، الجنة (التي تفيض لبناً وعسلاً)، هي لبني إسرائيل. **فكأنما كل شيء صيغ، بالشعور أو اللا شعور، ليخدم قضية أرض الميعاد**. والمضحك في الأمر أن حاماً يرى العورة، ونوح الكامل مع ربه (كما يذكر النص)، يلعن كنعان، فالأب يرتكب الخطأ والابن يدفع الثمن، علماً بأن الشريعة اليهودية تقول: (لا تقتل الآباء بالبنين ولا تقتل البنون بالآباء، بل كل امرئ بذنبه يقتل) (تثنية 24 /16)!!

www.alkottob.com

ثم قضية قايين وهابيل، وانتصار الراعي على المزارع، أليست في اللاشعور: الرغبة في انتصار اليهودي الراعي على كنعان المزارع والمستقر!!

لولا ذاك الزيف الديني في العهد القديم، لما التفت أحد إلى معلوماته المبنية على السرقة والكذب (39).

إن تلك المراحل ليست هي كل شيء. ولكنها تعطي صورة عن الأرضية الدينية التي استند إليها حاملو زعم أرض الميعاد ليضللوا الآخرين!

وقضية الأصول التاريخية لليهود في فلسطين، قضية غير علمية. وسواء أكان لهم وجود أم لم يكن لهم، فالنتيجة واحدة. فالشعوب القديمة كانت في حركة مستمرة، والانتقال والاختلاط والتمازج كان أمراً طبيعياً..

إن جوهر القضية يكمن في ادعاء اليهود بأن فلسطين لهم، وبوعد إلهي، وعلى حساب سكانها.. وكل من يحمل هكذا فكر عنصري، يجب ألا يكون له مكان في فلسطين، وإن حصل على شرعية الاستعمار الدولية! لأنه لا علاقة لليهود بفلسطين لا قديماً ولا حديثاً. ولأن سكان فلسطين وباعتراف النص التوراتي كانوا موجودين قبل إبراهيم.

ثم وبعد انقطاع سلالة إبراهيم (من يوسف إلى موسى) ما يقارب الـ 400 سنة، بقي سكان فلسطين فيها.

ثم بعد مجيء موسى، ودخول خليفته يشوع الأرض الفلسطينية، ورغم الحروب الوحشية المستمرة، بقي شعب فلسطين فيها.. وكل هذا من النص التوراتي والعهد القديم، أي باعتراف الدين نفسه!

فالحق الديني ساقط، والحق التاريخي - بحسب الرواية التوراتية- ساقط. وهذا يعني زيف الإيديولوجية الصهيونية وادعاءاتها (40).

وماذا بعد سقوط الدين اليهودي؟! إن الإسرائيليين يصيرون استعماريين لا حق لهم مطلقاً في فلسطين، وإن طال استعمارهم، وإن ولدت عشرات الأجيال فوق تراب فلسطين، فهذا لن يغير من الحقيقة شيئاً. فاليهودي المولود في فلسطين، ولا يعرف وطناً غير فلسطين، لن يكتسب حقاً قانونياً بالبقاء طالما وجود أبيه وجده هو، وجود استعماري لا شرعي؛ فقد تم على حساب تشريد فلسطيني وسرقة أرضه وبيته! وهو يدعي التمسك بدينه لأنه يقر له شرعية السرقة! فالدين مصلحة ومنفعة!!

إن أولئك الذين يتحدثون عن اليهودي المولود في فلسطين، ولا يعرف وطناً غيرها، عليهم أن يتحدثوا عن الفلسطيني المولود خارج فلسطين، ولا يعرف غير فلسطين وطناً!! كأنما هم يطوون بذلك حق الفلسطيني ويثبتون حق اليهودي! كما أنهم يقرون صيغة الاستعمار، والقومية الدينية، وسياسة الأمر الواقع، وسياسة الإرهاب والقوة!!

والذين يتحدثون عن حق اليهود المكتسب (سواء عن طريق الأمم المتحدة ككوستلر، وغيره ممن هم صدى للبوق الاستعماري، أم عن طريق الأجيال التي تولد في فلسطين)، الأولى بهم أن يتحدثوا عن حق الفلسطيني المستلب. والمظهر التقدمي والإنساني لا يكون بذكر حق اليهود المزيف، إنما يكون بفضح حقيقة الصهيونية الاستعمارية والدين اليهودي، ويكون بفضح جرائم الحركة الصهيونية، وجرائم العصابات التي كونت الدولة على حساب تشريد الشعب الفلسطيني.

www.alkottob.com

ومن يدعي حق اليهودي في العودة إلى فلسطين بناء على التوراة، نذكره بحق الفلسطيني المشرد منذ أكثر من خمسين سنة، وقبل التشرد، لم يترك فلسطين منذ أكثر من خمسة آلاف سنة!!

إن الصهيونية حركة استعمارية عنصرية وارتباطها بالإمبريالية أمر مفروغ منه. ومشروع الدولة كجسم غريب وشاذ، إنما هو مشروع استعماري، خلقته شرعية الدول الاستعمارية الدولية.

واستخدام القوة والتضليل يفرض واقعاً معيناً، قد يطول به الزمن، لكنه لن يلغي الحق، ولن يلغي الحقيقة، ولن يستطيع تزييف الأخلاق والمثل. وشرعية الكيان الإسرائيلي الدولية هي شرعية لا أخلاقية، وستزول مهما طال الزمن.

* * *

www.alkottob.com

هوامش منح اليهود فلسطين أرضاً أبدية لهم

1- يرى د. أحمد داود في كتابه "العرب والساميون...." أن مساحة الأرض الموعودة في غرب جزيرة العرب، وبالاستناد إلى نصوص التوراة (184.5 × 4.95 = 727.65 كم مربع). وهو يرى أن المساحة المعقولة (20×10 كم). راجع الكتاب المذكور ص 298. ويرى د. كمال الصليبي المساحة (600 × 200 كم تقريباً). راجع الملحق الأول في نهاية الكتاب.

2- سفر التكوين إصحاح 12/ 1-4.

3- التكوين إصحاح 12/ 6-7.

4- التكوين إصحاح 13/ 14- 16.

5- التكوين إصحاح 13/ 17.

6- التكوين إصحاح 15/ 7.

7- التكوين إصحاح 15/ 18.

8- راجع أيضاً التكوين إصحاح 17/ 4-8.

9- التكوين إصحاح 26/ 3-4.

10- التكوين إصحاح 28/ 13-15.

11- التكوين 35/ 10-12.

12- سفر الخروج إصحاح 3/ 17.

13- الخروج إصحاح 6/ 4.

14- الخروج إصحاح 6/7-8.

15- الخروج إصحاح 23/ 23.

16- الخروج إصحاح 23/ 30- 31 "بحر سوف: البحر الأحمر كما يرى المفسرون اللاهوتيون".

17- العدد إصحاح 13/ 1-2.

18- التثنية إصحاح 1/ 8.

19- التثنية إصحاح 8/ 7-10.

20- التثنية إصحاح 9/ 1-3.

21- التثنية إصحاح 9/ 5.

22- التثنية إصحاح 11/ 23-25.

23- راجع "بلادنا فلسطين" لمصطفى مراد الدباغ – ج 1 - القسم الأول- ص 396 (القبائل الكنعانية)، وفيه يتحدث عن القبائل التي جاء ذكرها في سفر الخروج الإصحاح 3 والإصحاح 23.

24- راجع الملحق الثاني في نهاية الكتاب.

25- د. جورجي كنعان: وثيقة الصهيونية في العهد القديم – ص 143.

www.alkottob.com

26- د. جورجي كنعان: وثيقة الصهيونية في العهد القديم – ص 153.

27- ندرة اليازجي: رد على التوراة - حواشي الفصل الأول- ص 162, 163.

28- الكتاب نفسه ص 163. وراجع ما كتبه جورجي كنعان في كتابه (وثيقة الصهيونية في العهد القديم) حول إبراهيم والوعد وموسى ص 29. وراجع التوراة جاءت من جزيرة العرب: د. كمال الصليبي. فصل 13 العبرانيون وأحراش (أحراج) عسير وأبرام العبراني.

29- التكوين إصحاح 23/ 4

30- التكوين إصحاح 23/ 7 والمقصود هنا الحثيون (هناك من يشك بوجود الحثيين). ونلاحظ استخدام تعبير "سجد لشعب الأرض" فبنو إسرائيل وبدءاً من إبراهيم هم الشعب المختار، هم أبناء الله، أما ما عداهم من الشعوب فهم شعوب الأرض أبناء البشر. وشتان بين شعب الله وشعب الأرض، وهذا لم يأت عفواً إنما هو من صلب الدين العنصري.

31- ندرة اليازجي: رد على التوراة - ص 158, 159.

32- ثريا منقوش: التوحيد في تطوره التاريخي - ص 54 (ولعل الكاتبة تعني بالبيزنطيين: الإغريق).

33- راجع كتاب الصهيونية غير اليهودية: د. ريجينا الشريف. وكتاب وثيقة الصهيونية في العهد القديم: د. جورجي كنعان.

34- يؤكد د. أحمد داود في كتابه "العرب والساميون..." في مواضع كثيرة أن ربط أحداث التوراة بفلسطين، إنما هو مشروع استعماري صهيوني، خلقه زوراً المستعمرون والصهاينة والمستشرقون الذين يدورون في فلكهم. وفي كتابه "تاريخ سورية القديم، تصحيح وتحرير"، يبين كثيراً من شطحات التزوير المكشوف.

35- آرثر كوستلر: إمبراطورية الخزر وميراثها (القبيلة الثالثة عشرة) - ترجمة حمدي متولي مصطفى صالح - ص 169, 170.

وفي هذا الكتاب نرى أن:

يهود أوروبا أصولهم خزرية. فقد كون الخزر إمبراطورية ازدهرت في القرن السابع الميلادي واستمرت حتى القرن الحادي عشر، وقد تهودت بدءاً من القرن الثامن الميلادي. فاليهود الذين فروا من اضطهاد الروم "بيزنطة"، وجد قسم منهم في الإمبراطورية الخزرية مأوى لهم وهناك نشروا ديانتهم بين وثني الخزر. فاعتنق ملك الخزر الديانة اليهودية عام 740 م تقريباً، ليدعم موقفه أمام أعدائه. ثم أصبحت اليهودية هي الديانة الرسمية للخزر. وبعد انهيار الإمبراطورية وبدءاً من القرن الثاني عشر أخذت قوافل الخزر اليهودية بالهجرة إلى أوربا، ولا سيما الشرقية منها ثم إلى غرب أوربا. (من كتاب إمبراطورية الخزر وميراثها: ترجمة حمدي متولي مصطفى صالح - ص 71 وما بعد - تهود الخزر).

36- المرجع السابق- ص 171.

37- ظفر الإسلام خان: التلمود تاريخه وتعاليمه - ص 96.

38- د. أميل توما: جذور القضية الفلسطينية.

www.alkottob.com

39- نلخص رأي غارودي بما يتعلق بفكرة هذا الفصل بما يلي: إن الصهيونية فكر استعماري عنصري، ولكن إن لم نربطه بالدين نكون واهمين! فلو حذفنا الكلمات التوراتية (أرض الميعاد، شعب الله المختار) ماذا يبقى من مبرر- وإن كان سفسوطائياً- لليهود في فلسطين!!

وبما يتعلق بطبيعة الوعد الإلهي: إن أصول الوعد الإلهي الأبوي، كان عند كل الشعوب. فأي جماعة رحل بدو، عندما تستقر تبدع فكرة أن الإله أعطاها الأرض لتستقر. ووردت نصوص مصرية وبابلية تتحدث عن الاستقرار في الأرض بعد الغزو بطلب من الإله.

راجع كتاب: الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية لروجيه غارودي - ترجمة: حافظ الجمالي، صياح جهيم - دار عطية للطباعة والنشر- لبنان- بيروت- الطبعة الثانية- تموز 1996.

40- راجع على سبيل المثال: العرب واليهود في التاريخ: د. أحمد سوسة. بلادنا فلسطين: مصطفى مراد الدباغ - الجزء الأول. جذور القضية الفلسطينية: د. اميل توما. الإيديولوجية الصهيونية: د. عبد الوهاب محمد المسيري. الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية: د. رشاد عبد الله الشامي. وراجع : اختلاق إسرائيل القديمة (إسكات التاريخ الفلسطيني) تأليف: كيث وايتلام - ترجمة: د. سحر الهندي - مراجعة: د. فؤاد زكريا .

* * *

www.alkottob.com

اصطفاء اليهود على البشرية

لقد أكدت أسفار العهد القديم في أماكن متعددة أن الإسرائيليين هم أفضل البشر، وأن الله خصهم بهذه المكانة الرفيعة ودونهم بقية البشر، وهم أبناء الله المباركين. بينما بقية الأمم هم أبناء البشر، كما أن الله سيلعن من يلعنهم. واليهود عدوا أنفسهم من تلك السلالة!!

ومن هذه النصوص التي تدل على ذلك:

1- يخاطب الرب نبيه إبراهيم بأنه سيجعله أمة عظيمة تتبارك بها جميع الأمم:

(وقال الرب لأبرام: اذهب من أرضك ومن عشيرتك ومن بيت أبيك إلى الأرض التي أريك فأجعلك أمة عظيمة **وأباركك وأعظم اسمك وتكون بركة. وأبارك مباركيك، ولاعنك ألعنه، وتتبارك فيك جميع قبائل الأرض**) (1).

وفي السفر نفسه يخاطبه الرب، ويقيم معه عهداً أبدياً ولنسله من بعده، نسل ابنه إسحق:

(أما أنا فهو ذا عهدي معك وتكون أباً لجمهور من الأمم فلا يدعى اسمك بعد أبرام بل يكون اسمك إبرهيم لأني أجعلك أباً لجمهور من الأمم وأثمرك كثيراً جداً. وأجعلك أمماً، وملوك منك يخرجون. وأقيم عهدي بيني وبينك وبين نسلك من بعدك في أجيالهم عهداً أبدياً **لأكون إلهاً لك ولنسلك من بعدك** وأعطي لك ولنسلك من بعدك أرض غربتك كل أرض كنعان ملكاً أبدياً وأكون إلههم) (2).

2- ويخاطب إسحق ابنه يعقوب:

(**ليستعبد لك شعوب وتسجد لك قبائل**) (3).

3- ويطلب الرب من موسى أن يقول لفرعون:

(هكذا يقول الرب، إسرائيل ابني البكر، فقلت لك: أطلق ابني ليعبدني) (4).

4- ويخاطب الرب بني إسرائيل:

(**وأتخذكم لي شعباً وأكون لكم إلهاً**) (5).

5- ويطلب الرب من موسى أن يخبر بني إسرائيل:

(إن سمعتم لصوتي وحفظتم عهدي **تكونون لي خاصة من بين جميع الشعوب** فإن لي كل الأرض وأنتم تكونون لي مملكة كهنة **وأمة مقدسة**) (6).

6- ويقول الرب لشعبه المصطفى:

(لأنك أنت شعب مقدس للرب إلهك، **إياك قد اختار الرب إلهك لتكون له شعباً أخص من جميع الشعوب الذين على وجه الأرض.** ليس من كونكم أكثر من سائر الشعوب التصق الرب بكم واختاركم لأنكم أقل من سائر الشعوب. بل من محبة الرب إياكم وحفظه القسم الذي أقسم لآبائكم) (7).

7- (**مباركاً تكون فوق الشعوب**) (8).

(**أنتم فوق جميع الشعوب**) (9).

www.alkottob.com

(طوباك يا إسرائيل، من مثلك يا شعباً منصوراً بالرب ترس عونك وسيف عظمتك. فيتذلل لك أعداؤك وأنت تطأ مرتفعاتهم) (10).

8- ويخاطب الرب سليمان:

(أسكن في وسط بني إسرائيل ولا أترك شعبي إسرائيل) (11).

9- ويخاطب أشعيا على لسان الرب، صهيون:

(هكذا قال السيد الرب ها اني أرفع إلى الأمم يدي وإلى الشعوب أقيم رايتي فيأتون بأولادك في الأحضان، وبناتك على الأكتاف يحملن. ويكون الملوك حاضنيك وسيداتهم مرضعاتك. **بالوجوه إلى الأرض يسجدون لك ويلحسون غبار رجليك،** فتعلمين أني أنا الرب الذي لا يخزي منتظروه) (12).

وفي أشعيا أيضاً:

(لأنه هكذا قال الرب: **ها نذا أدير عليها سلاماً كنهر، ومجد الأمم كسيل جارف فترضعون، وعلى الأيدي تحملون، وعلى الركبتين تُدلَّلون..)** (13).

وهناك الكثير من آيات العهد القديم التي تخصص بني إسرائيل، وترفعهم فوق الشعوب جميعاً، لأنهم شعب الله المختار من بين جميع مخلوقاته.

ولأنه يحبهم ويدللهم، يجعل بقية الشعوب عبيداً وخدماً لهم:

(وأما عبيدك وإماؤك الذين يكونون لك فمن الشعوب الذين حولكم. منهم تقتنون عبيداً وإماء). وهذا إضافة إلى: (أبناء المستوطنين النازلين عندكم)، وأولاد الإسرائيليين يرثون هؤلاء العبيد عن آبائهم: (وتستملكونهم لأبنائكم من بعدكم ميراث ملك تستعبدونهم إلى الدهر) (14).

والذين لا يستطيع بنو إسرائيل أن يجعلوهم عبيداً لهم، يطلب الرب أن يعاملوهم هكذا:

(لا تقطع لهم عهداً ولا تشفق عليهم ولا تصاهرهم) (15).

وعند أشعيا نرى معاملة الأجانب غير اليهود:

(يرعون غنمكم، ويكون بنو الغريب حراثيم وكراميكم. أما أنتم فتدعون كهنة الرب تسمون خدام إلهنا. تأكلون ثروة الأمم وعلى مجدهم تتأمَّرون) (16).

وتصل النظرة إلى درجة الازدراء والاحتقار:

(لا تأكلوا جثة ما تعطيها للغريب الذي على أبوابك فيأكلها أو يبيعها لأجنبي، لأنك شعب مقدس للرب إلهك) (17).

آيات مفعمة بالعنصرية، ومغرقة بالنرجسية، والتعالي والغطرسة. فأي رب هذا الذي ينظر إلى شعب دون غيره هذه النظرة، في الوقت الذي يفترض فيه أنه خلق الشعوب كلها كما يقول النص نفسه؟!

هذه النظرة، عنصرية الرب والشعب نقدها الفكر الغربي، وبين تهافتها، حتى أن بعض علماء اليهود أنفسهم:

(يعلنون صراحة أن تاريخهم القديم أسطوري وقد أعيد وضعه من وجهة نظر فريسية)، وأن: (علماء الكتاب المقدس كلهم مجمعون على أن العهد القديم جرى وضعه خلال وبعد النفي إلى بابل) (18).

www.alkottob.com

فاليهود وهم في أسرهم المزري الذي يذكره العهد القديم، **حاولوا أن يعوضوا عن عقدة النقص والدونية،** بجعل أنفسهم فوق البشرية، وألصقوا ذلك بالإله يهوه ليعطوا ذلك صفة مقدسة..

ونعتقد أن هذا التمييز لا يؤمن به كل واع، ويمتلك أرضية أخلاقية. أما المتعصب للعهد القديم فيعتقد أن ذلك أمر إلهي، ويعبر عن هذا الفيلسوف الصهيوني آحادها عام:

(هذه الأفكار والمفاهيم هي مبادئ أخلاقية، فاليهود يشعرون بأنهم متفوقون أخلاقياً على جميع الأمم وهذا الشعور يجسد نفسه في فكرة الشعب المختار. والاختيار غير مبني على حكم القوة لأن إسرائيل هي أصغر الأمم. وإنما هو قائم على اختيار الله لإسرائيل كي يعبر هذا الشعب عن أعلى نموذج أخلاقي) (19).

وهذه الروح التي انطبع بها اليهودي - المؤمن- كإنسان متفوق مختار، لها دوافعها التي ذكرت كتعويض عن الشعور بالنقص.

يقول الأديب الصهيوني حاييم يريبر:

(من أين أتى هذا الاحتقار من جانب اليهود للأغيار والشعور بالسمو عليهم؟ هل كان اليهودي عديم الشعور حقاً وميتاً إلى درجة لم يشعر معها أن حياة الأغيار أكثر غنى وأكثر جمالاً من حياته؟ كلا، إن هذا مستحيل، ونحن لا نستطيع أن نصدق هذا... فإن كان هناك احتقار للأغيار فلم يكن سوى حسد طبيعي يشعر به الفقراء تجاه الأغنياء، والرهبان تجاه الفرسان، والعاجز تجاه القادر.

إن هذا الاحتقار لم يكن سوى استسلام لنصيبنا في الدنيا، وأحياناً نوع من العزاء لآمالنا في العالم الآخر يتلوه صرير أسنان وغضب داخلي عن وعي أو غير وعي) (20).

فاليهودي كعاجز أمام تفوق الآخرين - الأجانب- أمام أمجادهم الحقيقية وليس الموهومة والمزيفة، لم يجد حلاً إلا في هذا الادعاء، ليخفف عنه حدة هذه العقدة! وفوق هذا جعل الرب يقطع عهداً على نفسه، بأن يبقى محباً لهم ولا يتخلى عنهم، وإن تخلوا عنه.

والقارئ للعهد القديم يكتشف أن بني إسرائيل كانوا أكثر الشعوب فساداً وضلالاً، وأكثرهم بعداً عن الإيمان والعمل الصالح، وتاريخهم ما هو إلا سلسلة طويلة من الأخطاء والجحود والمعاصي والكفر (21). بل يهوه نفسه ما هو إلا إله وثني شرير! وكانت الشعوب من حولهم أهل حضارة ورقي وتوحيد يتجاوز توحيد يهوه.

ونحن نسأل لِمَ لمْ يتبن يهوه الذي خلق الشعوب كلها بحسب النص الديني، أقواماً غير اليهود ليجعلهم المفضلين؟! لم اليهود بالذات؟! **وبما أنهم أحباء يهوه المميزين على كل البشر، لماذا تركهم يهوه متخلفين وهمجاً أمام الشعوب الحضارية؟!**

بل **نسأل لماذا خلق الله بقية الشعوب، إذا كان سيخص شعباً بعينه بالمحبة والتفضيل؟** أم إن تلك الشعوب خلقها الله لتكون عبيداً لليهود كما يقول العهد القديم (22)!

لو منح يهوه جزءاً من ذاك الدلال، وجزءاً من تلك الملاحقة والإلحاح لأي شعب آخر، لوجد عنده الإيمان السليم والعمل والإخلاص الأبدي، لأن هذا من سمات الشعب الحضاري، أم يا ترى يفضل يهوه الرعاة الهمج؟!

www.alkottob.com

والغريب في الأمر أن الشعوب الأخرى تدعى للإيمان، وييأس الرب بسرعة من إيمانهم، فينزل بهم أشد العقاب. **إن عنصرية اليهود كشعب مختار، ولّدت عنصرية الإله, فاحتكروا الإله الذي هو انعكاس لما يريدونه** هم. وكذلك احتكروا الأنبياء (23).

ونحن يمكن أن نفهم العقلية القديمة والبدائية، بجعل نفسها فوق الآخرين **كنرجسية ومرض نفسي**، ولكن لا يمكن أن نقبل صدور ذلك من إله يمثل الكمال في العدل والحق والخير، لأن ذلك ينفي تلك الصفات عنه. فإما أن ننفي ذاك الإله، أو ننفي ذاك النص. والمنطق السليم هو نفي النص لأنه من صنع اليهودي نفسه!

فمقولة التفضيل مقولة بشرية ضمن رؤية محدودة، وأفق ضيق. وهي تدل على سذاجة صبيانية وتفاهة ليس إلا. وبالتالي يسقط النص .

* * *

www.alkottob.com

1- التكوين: 12/ 1، 2، 3.

2- تكوين: 17/ 4، 5، 6، 7، 8.

3- تكوين: 27/ 29.

4- الخروج: إصحاح 4/ 22, 23.

5- الخروج: إصحاح 6/ 7.

6- الخروج: إصحاح 19/ 5, 6.

7- التثنية: إصحاح 7/ 6, 7, 8.

(**ملاحظة**: الترجمة سيئة في الطبعة الكاثوليكية: سفر تثنية الاشتراع - الإصحاح (الفصل السابع) الآية 7: (لا لأنكم أكثر من جميع الشعوب لزمكم الرب واصطفاكم فإنما أنتم أقل من جميع الشعوب..).

8- التثنية: إصحاح 7/ 14.

9- التثنية: إصحاح 10/ 15.

10- التثنية: إصحاح 33/ 29.

11- الملوك الأول: إصحاح 6/ 13.

12- أشعيا: إصحاح 49/ 22, 23.

13- أشعيا: إصحاح 66/ 12.

14- اللاويين: إصحاح 25/ 44, 45, 46.

15- التثنية: إصحاح 7/ 2, 3.

16- أشعيا: إصحاح 61/ 5, 6.

17- التثنية: إصحاح 14/ 21.

18- سهيل ديب: التوراة تاريخها وغاياتها - ترجمة وتعليق - ص 19, 20.

19- نقلاً عن كتاب أمجاد إسرائيل في أرض فلسطين: د. جورجي كنعان - ص 40.

20- د. رشاد عبد الله الشامي: الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية - ص 32, 33.

21- جاء في قصة الحضارة: ول ديورانت - المجلد الأول - الجزء الثاني - ص 338:

(وكان اليهود في أول ظهورهم على مسرح التاريخ بدواً رحلاً، يخافون شياطين الهواء، ويعبدون الصخور والماشية والضأن وأرواح الكهوف والجبال. ولم يتخلوا قط عن عبادة العجل والكبش والحمل. ذلك إن موسى لم يستطع منع قطيعه من عبادة العجل الذهبي، لأن عبادة العجول كانت لا تزال حية في ذاكرتهم مذ كانوا في مصر. وظلوا زمناً طويلاً يتخذون هذا الحيوان القوي آكل العشب رمزاً لإلههم. وإنا لنقرأ في سفر الخروج "الإصحاح 32 الآيات 25 – 28" كيف أخذ اليهود يرقصون وهم عراة أمام العجل الذهبي، وكيف أعدم موسى واللاويون ثلاثة آلاف منهم عقاباً لهم على عبادة هذا الوثن. وفي تاريخ اليهود الباكر

www.alkottob.com

شواهد كثيرة تدل على أنهم عبدوا الأفعى: ومن هذه الشواهد صورة الأفعى التي وجدت في أقدم آثارهم. ومنها الأفعى النحاسية التي صنعها موسى، والتي عبدها اليهود في الهيكل إلى أيام حزقيا "حوالي 720 ق. م". وكانت الأفعى تبدو حيواناً مقدساً لليهود. كما كانت تبدو لشعوب كثيرة عداهم. وذلك لأنها رمز للذكورة المخصبة من جهة، ولأنها من جهة أخرى تمثل الحكمة والدهاء والخلود، فضلاً عن أنها تستطيع أن تجعل طرفيها يلتقيان.

وكان بعض اليهود يعظمون بعل الذي كان يرمز إليه بحجارة مخروطية قائمة، كثيرة الشبه بلنجا إله الهندوس وذلك لأنه في رأيهم الجوهر الذكر في التناسل، وزوج الأرض الذي يخصبها.

وكما أن آثار عبادة الآلهة الكثيرة البدائية، قد بقيت في عبادة الملائكة والقديسين، وفي الأصنام الصغيرة المتنقلة التي كانوا يتخذونها آلهة لبيوتهم. كذلك ظلت المعتقدات السحرية التي كانت منتشرة في العبادات القديمة باقية عند اليهود إلى عهود متأخرة رغم احتجاج الأنبياء والكهنة). وراجع أيضاً سفر القضاة وإرميا وحزقيال.

22- راجع التلمود تاريخه وتعاليمه: ظفر الإسلام خان – ص 90، حول نظرة اليهودي لغيره وكراهيته له.

23- راجع سفر التكوين إصحاح 17/ 7, 8 والخروج 6/ 7.

* * *

www.alkottob.com

لا أخلاقية شخصيات العهد القديم

إن الفصول السابقة نستطيع أن ندخلها ضمن هذا الفصل، فسرقة تراث الآخرين عمل لا أخلاقي. ومنح يهوه فلسطين أرضاً لليهود، أيضاً، عمل لا أخلاقي. وكذلك عنصرية شعب يهوه المختار عمل لا أخلاقي.

ولكن نحن هنا سنتناول مواقف تمس السلوك بعيداً عن النقاط الثلاث العامة، فهي تدل على لا أخلاقية زعماء العهد القديم.

سنستعرض بعض الصور التي وردت في العهد القديم، والتي تدل على انحطاط أخلاقي، تنفي عنه صفة القدسية والوحي. فلا يمكن أن تكون صور الأنبياء أو الملوك أو الزعماء أو القادة بهذا الشكل، وتكون مقدسة. فهي مصورة بشكل يثير الاشمئزاز، ولا يمكن أن يعكس الارتباط بالحقيقة المطلقة أبداً. وقبل البدء بذلك لا بد من إعطاء صورة عن يهوه الذي يمثل الحقيقة المطلقة في الديانة اليهودية. والنصوص أسلوبها سيئ وفيها أخطاء متعمدة من المصدر الأساسي (جمعيات الكتاب المقدس المتحدة):

1- إن يهوه يتجاوز مارس، إله الحرب عند اليونان: فهو شرس، متعطش للدماء والقتل، ويقود عصابة من المجرمين والقتلة:

- الرب شرس غيور ونار متأججة:

(لان الرب الهك هو نار آكلة اله غيور) (تثنية 4/ 24).

- وهو يلعب المصارعة:

(فبقي يعقوب وحده. وصارعه انسان حتى طلوع الفجر. ولما رأى انه لا يقدر عليه ضرب حقّ فخذه. فانخلع حقّ فخذ يعقوب في مصارعته معه. وقال اطلقني لانه قد طلع الفجر. فقال لا اطلقك ان لم تباركني. فقال له ما اسمك. فقال يعقوب. فقال لا يدعى اسمك في ما بعد يعقوب بل اسرائيل. لانك جاهدت مع الله والناس وقدرت) (تكوين 32/ 24- 28).

- ويساهم في طرد الشعوب من أمام شعبه المختار:

(لكي يطرد من امامك شعوبا اكبر واعظم منك ويأتي بك ويعطيك ارضهم نصيبا) (تثنية 4/ 38).

- وهو رب يشارك في القتال كوحش مخيف:

(ان قلت في قلبك هؤلاء الشعوب اكثر مني كيف اقدر ان اطردهم. فلا تخف منهم. اذكر ما فعله الرب الهك بفرعون وبجميع المصريين. التجارب العظيمة التي ابصرتها عيناك والآيات والعجائب واليد الشديدة والذراع الرفيعة التي بها اخرجك الرب الهك. هكذا يفعل الرب الهك بجميع الشعوب التي انت خائف من وجهها. والزنابير ايضا يرسلها الرب الهك عليهم حتى يفنى الباقون والمختفون من امامك. لا ترهب وجوههم لان الرب الهك في وسطك اله عظيم ومخوف. ولكن الرب الهك يطرد هؤلاء الشعوب من امامك قليلا قليلا. لا تستطيع ان تفنيهم سريعا لئلا تكثر عليك وحوش البرية. ويدفعهم الرب الهك امامك ويوقع بهم اضطرابا عظيما حتى يفنوا. ويدفع ملوكهم الى يدك فتمحو اسمهم من تحت السماء. لا يقف انسان في وجهك حتى تفنيهم) (تثنية 7/ 17- 24).

www.alkottob.com

- والرب نار تأكل شعب كنعان، وهو يبيدهم ويذلهم:

(فاعلم اليوم ان الرب الهك هو العابر امامك نارا آكلة. هو يبيدهم ويذلهم امامك فتطردهم وتهلكهم سريعا كما كلمك الرب) (تثنية 9/ 3).

- والرب يأمر عصابته بقتل الكبار والصغار حتى الرضع منهم، وحتى الحيوانات الأليفة، وكأنما هو سادي يتلذذ بتعذيب الآخرين:

(وقال صموئيل لشاول. اياي ارسل الرب لمسحك ملكا على شعبه اسرائيل. والآن فاسمع صوت كلام الرب. هكذا يقول رب الجنود. اني قد افتقدت ما عمل عماليق باسرائيل حين وقف له في الطريق عند صعوده من مصر. فالآن اذهب واضرب عماليق وحرموا كل ما له ولا تعف عنهم بل اقتل رجلا وامرأة. طفلا ورضيعا. بقرا وغنما. جملا وحمارا) (صموئيل الأول 15/ 1- 3).

- والرب يعلمهم التجسس:

(أرسل رجالاً ليتجسسوا أرض كنعان التي أنا معطيها لبني إسرائيل) (عدد 13/ 1- 2).

- والرب أيضاً يزرع الخشية والرعب في قلوب بني كنعان:

(الرب إلهكم يجعل خشيتكم ورعبكم على كل الأرض التي تدوسونها كما كلمكم) (تثنية 11/ 23- 25) .

وهناك صور كثيرة تصور يهوه ملكاً شرساً وسفاحاً دموياً، يتصف بالغضب والحزن والندم... وما تقدم يكفي لإعطاء صورة عنه. **فهو لا يمكن أن يكون هو الله، الحق والخير والعدل والمحبة، والجمال المطلق. إنه الشيطان نفسه، وقد تجسد على الأرض،** بل وتقمص شخصيات العهد القديم!! فلنتابع شخصيات التوراة:

2- يرى حام عورة أبيه فيخبر أخويه. وينتبه نوح لنفسه ويغضب، فيخبراه بالحقيقة. فيصبح كنعان ونسله ملعونين: (ملعون كنعان عبد العبيد يكون لإخوته، وقال مبارك الرب إله سام وليكن كنعان عبداً لهم) (سفر التكوين إصحاح 9/ 25- 26):

(وابتدأ نوح يكون فلاحاً وغرس كرماً. وشرب من الخمر فسكر وتعرّى داخل خبائه. فابصر حام ابو كنعان عورة أبيه وأخبر أخويه خارجاً. فأخذ سام ويافث الرداء ووضعاه على اكتافهما ومشيا إلى الوراء وسترا عورة أبيهما ووجهاهما إلى الوراء. فلم يبصرا عورة أبيهما. فلما استيقظ نوح من خمره علم ما فعل به ابنه الصغير. فقال **ملعون كنعان. عبد العبيد يكون لاخوته. وقال مبارك الرب اله سام. وليكن كنعان عبداً لهم)** (تكوين 9/ 20- 26) .

ألا تعبر هذه الحكاية عن الكراهية المطلقة لشعب كنعان؟! ثم أليست هذه هي، **الإرهاصات الأولى لسلب أرض كنعان؟!** ثم إذا كان حام هو الذي رأى العورة، فما ذنب ابنه كنعان؟!

3- نزح إبراهيم إلى مصر وادعى أن امرأته (1) هي أخته: (ليكون لي خير بسببك وتحيا نفسي من أجلك) (تكوين 12/ 13) ويعود غنياً.

(وحدث لما قرب مصر انه قال لساراي امرأته اني قد علمت أنك امرأة حسنة المنظر. فيكون إذا رآك المصريون انهم يقولون هذه امرأته. فيقتلونني ويستبقونك. قولي انك اختي. ليكون لي خير بسببك وتحيا

www.alkottob.com

نفسي من أجلك. فحدث لما دخل ابرام إلى مصر ان المصريين رأوا المرأة انها حسنة جدا. ورآها رؤساء فرعون ومدحوها لدى فرعون. فأخذت المرأة إلى بيت فرعون. فصنع إلى ابرام خيراً بسببها. وصار له غنم وبقر وحمير وعبيد وإماء وأتن وجمال. فضرب الرب فرعون وبيته ضربات عظيمة بسبب ساراي امرأة ابرام. فدعا فرعون ابرام وقال ما هذا الذي صنعت بي. لماذا لم تخبرني انها امرأتك. لماذا قلت هي اختي حتى أخذتها لي لتكون زوجتي. والآن هو ذا امرأتك خذها واذهب. فأوصى عليه فرعون رجالا فشيعوه وامرأته وكل ما كان له) (تكوين 12/ 11- 20).

والغريب في الأمر أن فرعون يعاقبه الإله لأنه اقترب من زوجة إبراهيم. بينما إبراهيم الكذاب، والذي يتخلى عن شرفه بدفع امرأته إلى فرعون، لا يمسه شيء بل يعود غانماً!!

ويكرر إبراهيم تأجير زوجته لملك جرار:

(وانتقل ابراهيم من هناك الى ارض الجنوب وسكن بين قادش وشور وتغرب في جرار. وقال ابراهيم عن سارة امراته هي اختي. فارسل ابيمالك ملك جرار واخذ سارة. فجاء الله الى ابيمالك في حلم الليل وقال له ها انت ميّت من اجل المرأة التي اخذتها فانها متزوجة ببعل. ولكن لم يكن ابيمالك قد اقترب اليها. فقال يا سيد أأمة بارة تقتل. ألم يقل هو لي انها اختي وهي ايضا نفسها قالت هو اخي. بسلامة قلبي ونقاوة يديّ فعلت هذا. فقال له الله في الحلم انا ايضا علمت انك بسلامة قلبك فعلت هذا. وانا ايضا امسكتك عن ان تخطئ اليّ. لذلك لم ادعك تمسّها. فالآن رد امرأة الرجل فانه نبيّ فيصلّي لاجلك فتحيا. وان كنت لست تردها فاعلم انك موتا تموت انت وكل من لك. فبكّر ابيمالك في الغد ودعا جميع عبيده وتكلم بكل هذا الكلام في مسامعهم. فخاف الرجال جدا. ثم دعا ابيمالك ابراهيم وقال له ماذا فعلت بنا وبماذا اخطأت اليك حتى جلبت عليّ وعلى مملكتي خطية عظيمة. اعمالا لا تعمل عملت بي. وقال ابيمالك لابراهيم ماذا رأيت حتى عملت هذا الشيء. فقال ابراهيم اني قلت ليس في هذا الموضع خوف الله البتة. فيقتلونني لاجل امرأتي) (تكوين 20/ 1- 11).

4- يطرد إبراهيم الأب امرأته هاجر - وهي جارية مصرية وثنية أعطاها فرعون لزوجته سارة- وابنها إسماعيل ويرميهما في البرية، لغيرة دبت في نفس الحرة ساراي (سارة) زوجته:

(وافتقد الرب سارة كما قال. وفعل الرب لسارة كما تكلم. فحبلت سارة وولدت لابراهيم ابنا في شيخوخته. في الوقت الذي تكلم الله عنه. ودعا ابراهيم اسم ابنه المولود له الذي ولدته له سارة اسحق. وختن ابراهيم اسحق ابنه وهو ابن ثمانية ايام كما امره الله. وكان ابراهيم ابن مئة سنة حين ولد له اسحق ابنه. وقالت سارة قد صنع اليّ الله ضحكا. كل من يسمع يضحك لي. وقالت من قال لابراهيم سارة ترضع بنين. حتى ولدت ابنا في شيخوخته. فكبر الولد وفطم. وصنع ابراهيم وليمة عظيمة يوم فطام اسحق. ورأت سارة ابن هاجر المصرية الذي ولدته لابراهيم يمزح. فقالت لابراهيم اطرد هذه الجارية وابنها. لان ابن هذه الجارية لا يرث مع ابني اسحق. فقبح الكلام جدا في عيني ابراهيم لسبب ابنه. فقال الله لابراهيم لا يقبح في عينيك من اجل الغلام ومن اجل جاريتك. في كل ما تقول لك سارة اسمع لقولها. لانه باسحق يدعى لك نسل. وابن

www.alkottob.com

الجارية ايضا ساجعله امة لانه نسلك. فبكر ابراهيم صباحا واخذ خبزا وقربة ماء واعطاهما لهاجر واضعا اياهما على كتفها والولد وصرفها. فمضت وتاهت في برية بئر سبع) (تكوين 21/ 1- 14).

لا يسعنا إلا أن نسأل عن القدسية في طرد أب لزوجته وابنه، لمجرد مزاج أخرق لدى زوجته الأخرى، وهو قائم على الغيرة والحسد!! وكيف ينزل يهوه إلى مستوى عقل سارة، ويأمر إبراهيم بطرد هاجر وابنه الذي هو من لحمه ودمه!! فيرميهما في برية موحشة!!

5- ابنتا لوط تسكرانه وتضاجعانه وتحبلان منه، وتلدان من أبيهما! فالبكر تسمي ولدها مؤاب (أبو الموآبيين) والصغيرة تسمي ابنها بن عمي (أبو بني عمون):

(وصعد لوط من صوغر وسكن في الجبل وابنتاه معه. لانه خاف ان يسكن في صوغر. فسكن في المغارة هو وابنتاه. وقالت البكر للصغيرة ابونا قد شاخ وليس في الارض رجل ليدخل علينا كعادة كل الارض. هلم نسقي ابانا خمرا ونضطجع معه. فنحيي من ابينا نسلا. فسقتا اباهما خمرا في تلك الليلة. ودخلت البكر واضطجعت مع ابيها. ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها. وحدث في الغد ان البكر قالت للصغيرة اني قد اضطجعت البارحة مع ابي. نسقيه خمرا الليلة ايضا فادخلي اضطجعي معه. فنحيي من ابينا نسلا. فسقتا اباهما خمرا في تلك الليلة ايضا. وقامت الصغيرة واضطجعت معه. ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها. فحبلت ابنتا لوط من ابيهما. فولدت البكر ابنا ودعت اسمه موآب. وهو ابو الموآبيين الى اليوم. والصغيرة ايضا ولدت ابنا ودعت اسمه بن عمي. وهو ابو بني عمون الى اليوم) (تكوين 19/ 30- 38).

6- يشتري يعقوب البكورية من عيسو أخيه مقابل خبز وصحن من العدس المطبوخ:

(وطبخ يعقوب طبيخا فاتى عيسو من الحقل وهو قد اعيا. فقال عيسو ليعقوب اطعمني من هذا الاحمر لاني قد اعييت. لذلك دعي اسمه ادوم. فقال يعقوب بعني اليوم بكوريتك. فقال عيسو ها انا ماض الى الموت. فلماذا لي بكورية. فقال يعقوب احلف لي اليوم. فحلف له. فباع بكوريته ليعقوب. فاعطى يعقوب عيسو خبزا وطبيخ عدس. فاكل وشرب وقام ومضى. فاحتقر عيسو البكورية) (تكوين 25/ 29- 34).

والمعروف أن عيسو ويعقوب توءمان. ويقولون إن عيسو ولد أولاً، وحاول يعقوب أن يمسك بعقب عيسو ليخرج قبله، فلم ينجح. وسمي لذلك بيعقوب!

وأيضاً يتنازع يعقوب وعيسو على الفوز ببركة إسحاق الأب، فيفوز يعقوب بالاستعانة بمكر أمه وخداعها وخبثها:

(وحدث لما شاخ اسحق وكلّت عيناه عن النظر انه دعا عيسو ابنه الاكبر وقال له يا ابني. فقال له هانذا. فقال انني قد شخت ولست اعرف يوم وفاتي. فالآن خذ عدتك جعبتك وقوسك واخرج الى البرية وتصيّد لي صيدا. واصنع لي اطعمة كما احب وأتني بها لآكل حتى تباركك نفسي قبل ان اموت. وكانت رفقة سامعة اذ تكلم اسحق مع عيسو ابنه. فذهب عيسو الى البرية كي يصطاد صيدا ليأتي به. وأما رفقة فكلمت يعقوب ابنها قائلة اني قد سمعت اباك يكلم عيسو اخاك قائلا. ائتني بصيد واصنع لي اطعمة لآكل واباركك امام الرب قبل وفاتي. فالآن يا ابني اسمع لقولي في ما انا آمرك به. اذهب الى الغنم وخذ لي من هناك جديين جيّدين من المعزى. فأصنعهما اطعمة لابيك كما يحب. فتحضرها الى ابيك لياكل حتى يباركك قبل وفاته.

www.alkottob.com

فقال يعقوب لرفقة امه هوذا عيسو اخي رجل اشعر وانا رجل املس. ربما يجسّني ابي فاكون في عينيه كمتهاون واجلب على نفسي لعنة لا بركة. فقالت له امه لعنتك عليّ يا ابني. اسمع لقولي فقط واذهب خذ لي. فذهب واخذ واحضر لامه. فصنعت امه اطعمة كما كان ابوه يحب. واخذت رفقة ثياب عيسو ابنها الاكبر الفاخرة التي كانت عندها في البيت والبست يعقوب ابنها الاصغر. والبست يديه وملاسة عنقه جلود جديي المعزى. واعطت الاطعمة والخبز التي صنعت في يد يعقوب ابنها. فدخل الى ابيه وقال يا ابي. فقال هانذا. من انت يا ابني. فقال يعقوب لابيه انا عيسو بكرك. قد فعلت كما كلمتني. قم اجلس وكل من صيدي لكي تباركني نفسك. فقال اسحق لابنه ما هذا الذي اسرعت لتجد يا ابني. فقال ان الرب الهك قد يسّر لي. فقال اسحق ليعقوب تقدم لاجسّك يا ابني. أأنت هو ابني عيسو ام لا. فتقدم يعقوب الى اسحق ابيه. فجسّه وقال الصوت صوت يعقوب ولكن اليدين يدا عيسو. ولم يعرفه لان يديه كانتا مشعرتين كيدي عيسو اخيه. فباركه. وقال هل انت هو ابني عيسو. فقال انا هو. فقال قدم لي لآكل من صيد ابني حتى تباركك نفسي. فقدّم له فاكل. واحضر له خمرا فشرب. فقال له اسحق ابوه تقدم وقبّلني يا ابني. فتقدم وقبّله. فشم رائحة ثيابه وباركه. وقال انظر. رائحة ابني كرائحة حقل قد باركه الرب. فليعطك الله من ندى السماء. ومن دسم الارض. وكثرة حنطة وخمر. ليستعبد لك شعوب. وتسجد لك قبائل. كن سيدا لاخوتك. وليسجد لك بنو امك. ليكن لاعنوك ملعونين. ومباركوك مباركين. وحدث عندما فرغ اسحق من بركة يعقوب ويعقوب قد خرج من لدن اسحق ابيه ان عيسو اخاه أتى من صيده. فصنع هو ايضا اطعمة ودخل بها الى ابيه وقال لابيه ليقم ابي وياكل من صيد ابنه حتى تباركني نفسك. فقال له اسحق ابوه من انت. فقال انا ابنك بكرك عيسو. فارتعد اسحق ارتعادا عظيما جدا. وقال فمن هو الذي اصطاد صيدا وأتى به اليّ فاكلت من الكل قبل ان تجيء وباركته. نعم ويكون مباركا. فعندما سمع عيسو كلام ابيه صرخ صرخة عظيمة ومرة جدا. وقال لابيه باركني انا ايضا يا ابي. فقال قد جاء اخوك بمكر واخذ بركتك. فقال الا ان اسمه دعي يعقوب. فقد تعقبني الآن مرتين. اخذ بكوريتي وهوذا الآن قد اخذ بركتي. ثم قال أما ابقيت لي بركة. فاجاب اسحق وقال لعيسو اني قد جعلته سيدا لك ودفعت اليه جميع اخوته عبيدا وعضدته بحنطة وخمر. فماذا اصنع اليك يا ابني. فقال عيسو لابيه ألك بركة واحدة فقط يا ابي. باركني انا ايضا يا ابي. ورفع عيسو صوته وبكى. فاجاب اسحق ابوه وقال له هوذا بلا دسم الارض يكون مسكنك. وبلا ندى السماء من فوق. وبسيفك تعيش. ولاخيك تستعبد. ولكن يكون حينما تجمح انك تكسر نيره عن عنقك. فحقد عيسو على يعقوب من اجل البركة التي باركه بها ابوه. وقال عيسو في قلبه قربت ايام مناحة ابي. فاقتل يعقوب اخي) (تكوين 27/ 1-41).

7- إسحق يدعي أن امرأته هي أخته أمام ملك الفلسطينيين أبيمالك، كما فعل إبراهيم قبله، لأنه خاف أن يقول: (امرأتي لعل أهل المكان يقتلونني من أجل رفقة لأنها كانت حسنة المنظر):

(فاقام اسحق في جرار وسأله اهل المكان عن امرأته. فقال هي اختي. لانه خاف ان يقول امرأتي لعل اهل المكان يقتلونني من اجل رفقة لانها كانت حسنة المنظر. وحدث اذ طالت له الايام هناك ان ابيمالك ملك الفلسطينيين اشرف من الكوّة ونظر واذا اسحق يلاعب رفقة امرأته. فدعا ابيمالك اسحق وقال انما هي

www.alkottob.com

امرأتك. فكيف قلت هي اختي. فقال له اسحق لاني قلت لعلي اموت بسببها. فقال ابيمالك ما هذا الذي صنعت بنا. لولا قليل لاضطجع احد الشعب مع امرأتك فجلبت علينا ذنبا. فاوصى ابيمالك جميع الشعب قائلا الذي يمسّ هذا الرجل او امرأته موتا يموت. وزرع اسحق في تلك الارض فاصاب في تلك السنة مئة ضعف وباركه الرب) (تكوين 26/ 6- 12).

8- راحيل زوجة يعقوب تسرق أصنام أبيها لابان، لأنها وثنية, ولأنها تؤمن بتلك الأصنام:

(واما لابان فكان قد مضى ليجزّ غنمه. فسرقت راحيل اصنام ابيها. وخدع يعقوب قلب لابان الارامي. اذ لم يخبره بانه هارب. فهرب هو وكل ما كان له وقام وعبر النهر وجعل وجهه نحو جبل جلعاد) (تكوين 31/ 19- 21).

ويأتي الأب ليفتش عن أصنامه فتجلس فوق الأصنام. وتدعي أمام أبيها أنها لا تستطيع القيام لأنها في الدورة الشهرية. وعلى الرغم من كذبها ووثنيتها, بقيت المحبوبة عند يعقوب:

(وكانت راحيل قد اخذت الاصنام ووضعتها في حداجة الجمل وجلست عليها. فجسّ لابان كل الخباء ولم يجد. وقالت لابيها لا يغتظ سيدي اني لا استطيع ان اقوم امامك لان عليّ عادة النساء. ففتّش ولم يجد الاصنام) (تكوين 31/ 34- 35).

9- يحب شكيم بن حمور، بنت يعقوب، ويضاجعها، ثم يتزوجها، وضمن شروط أملاها بنو يعقوب، وقد وافق عليها. إلا أن أولاد يعقوب يصنعون مذبحة في المدينة وينهبونها، لأن أختهم تزوجت من غير ملتهم. علماً بأن شكيم التزم ونفذ شروطهم ليتزوج أختهم التي أحبها:

(وخرجت دينة ابنة ليئة التي ولدتها ليعقوب لتنظر بنات الارض. فرآها شكيم ابن حمور الحوّي رئيس الارض واخذها واضطجع معها واذلّها. وتعلقت نفسه بدينة ابنة يعقوب واحب الفتاة ولاطف الفتاة. فكلم شكيم حمور اباه قائلا خذ لي هذه الصبية زوجة. وسمع يعقوب انه نجّس دينة ابنته. واما بنوه فكانوا مع مواشيه في الحقل. فسكت يعقوب حتى جاءوا. فخرج حمور ابو شكيم الى يعقوب ليتكلم معه. واتى بنو يعقوب من الحقل حين سمعوا. وغضب الرجال واغتاظوا جدا لانه صنع قباحة في اسرائيل بمضاجعة ابنة يعقوب. وهكذا لا يصنع. وتكلم حمور معهم قائلا شكيم ابني قد تعلّقت نفسه بابنتكم. اعطوه اياها زوجة. وصاهرونا. تعطوننا بناتكم وتأخذون لكم بناتنا. وتسكنون معنا وتكون الارض قدامكم. اسكنوا واتجروا فيها وتملّكوا بها. ثم قال شكيم لابيها ولاخوتها دعوني اجد نعمة في اعينكم. فالذي تقولون لي اعطي. كثّروا عليّ جدا مهّرا وعطية. فاعطي كما تقولون لي. واعطوني الفتاة زوجة. فاجاب بنو يعقوب شكيم وحمور اباه بمكر وتكلموا. لانه كان قد نجّس دينة اختهم. فقالوا لهما لا نستطيع ان نفعل هذا الامر ان نعطي اختنا لرجل اغلف. لانه عار لنا. غير اننا بهذا نواتيكم. ان صرتم مثلنا بختنكم كل ذكر. نعطيكم بناتنا ونأخذ لنا بناتكم ونسكن معكم ونصير شعبا واحدا. وان لم تسمعوا لنا ان تختتنوا نأخذ ابنتنا ونمضي. فحسن كلامهم في عيني حمور وفي عيني شكيم بن حمور. ولم يتأخر الغلام ان يفعل الامر. لانه كان مسرورا بابنة يعقوب. وكان اكرم جميع بيت ابيه. فاتى حمور وشكيم ابنه الى باب مدينتهما وكلما اهل مدينتهما قائلين. هؤلاء القوم مسالمون لنا. فليسكنوا في الارض ويتجروا فيها. وهوذا الارض واسعة الطرفين امامهم. نأخذ

www.alkottob.com

لنا بناتهم زوجات ونعطيهم بناتنا. غير انه بهذا فقط يواتينا القوم على السكن معنا لنصير شعبا واحدا. بختننا كل ذكر كما هم مختونون. ألا تكون مواشيهم ومقتناهم وكل بهائمهم لنا. نواتيهم فقط فيسكنون معنا. فسمع لحمور وشكيم ابنه جميع الخارجين من باب المدينة. واختتن كل ذكر. كل الخارجين من باب المدينة. فحدث في اليوم الثالث اذ كانوا متوجعين ان ابني يعقوب شمعون ولاوي اخوي دينة اخذا كل واحد سيفه وأتيا على المدينة بامن وقتلا كل ذكر. وقتلا حمور وشكيم ابنه بحد السيف. واخذا دينة من بيت شكيم وخرجا. ثم اتى بنو يعقوب على القتلى ونهبوا المدينة. لانهم نجّسوا اختهم. غنمهم وبقرهم وحميرهم وكل ما في المدينة وما في الحقل اخذوه. وسبوا ونهبوا كل ثروتهم وكل اطفالهم ونساءهم وكل ما في البيوت. فقال يعقوب لشمعون ولاوي كدّرتماني بتكريهكما اياي عند سكّان الارض الكنعانيين والفرزّيين وانا نفر قليل. فيجتمعون عليّ ويضربونني فأبيد انا وبيتي. فقالا أنظير زانية يفعل باختنا) (تكوين الإصحاح 34).

10- يوسف كمسؤول عن المالية في مصر، ينتهز فرصة القحط فيستغل المصريين، ويستعبدهم بعد سلبهم كل ممتلكاتهم لصالح فرعون:

(ولم يكن خبز في كل الارض. لان الجوع كان شديدا جدا. فخوّرت ارض مصر وارض كنعان من اجل الجوع. فجمع يوسف كل الفضة الموجودة في ارض مصر وفي ارض كنعان بالقمح الذي اشتروا. وجاء يوسف بالفضة الى بيت فرعون. فلما فرغت الفضة من ارض مصر ومن ارض كنعان أتى جميع المصريين الى يوسف قائلين أعطنا خبزا. فلماذا نموت قدامك. لان ليس فضة ايضا. فقال يوسف هاتوا مواشيكم فاعطيكم بمواشيكم ان لم يكن فضة ايضا. فجاءوا بمواشيهم الى يوسف. فاعطاهم يوسف خبزا بالخيل وبمواشي الغنم والبقر وبالحمير. فقاتهم بالخبز تلك السنة بدل جميع مواشيهم ولما تمت تلك السنة اتوا اليه في السنة الثانية وقالوا له لا نخفي عن سيدي انه اذ قد فرغت الفضة ومواشي البهائم عند سيدي لم يبق قدام سيدي الا اجسادنا وارضنا. لماذا نموت امام عينيك نحن وارضنا جميعا. اشترنا وارضنا بالخبز فنصير نحن وارضنا عبيدا لفرعون. واعط بذارا لنحيا ولا نموت ولا تصير ارضنا قفرا. فاشترى يوسف كل ارض مصر لفرعون. اذ باع المصريون كل واحد حقله. لان الجوع اشتد عليهم. فصارت الارض لفرعون. واما الشعب فنقلهم الى المدن من اقصى حد مصر الى اقصاه. الا ان ارض الكهنة لم يشترها. اذ كانت للكهنة فريضة من قبل فرعون. فاكلوا فريضتهم التي اعطاهم فرعون. لذلك لم يبيعوا ارضهم. فقال يوسف للشعب اني قد اشتريتكم اليوم وارضكم لفرعون. هوذا لكم بذار فتزرعون الارض. ويكون عند الغلّة انكم تعطون خمسا لفرعون. والاربعة الاجزاء تكون لكم بذارا للحقل وطعاما لكم ولمن في بيوتكم وطعاما لاولادكم. فقالوا احييتنا. ليتنا نجد نعمة في عيني سيدي فنكون عبيدا لفرعون. فجعلها يوسف فرضا على ارض مصر الى هذا اليوم لفرعون الخمس. الا ان ارض الكهنة وحدهم لم تصر لفرعون) (تكوين 47/ 13- 26).

11- موسى يقتل إنساناً مصريا عامداً متعمداً، ويفر من العقاب:

(وحدث في تلك الايام لما كبر موسى انه خرج الى اخوته لينظر في اثقالهم. فرأى رجلا مصريا يضرب رجلا عبرانيا من اخوته. **فالتفت الى هنا وهناك ورأى ان ليس احد فقتل المصري وطمره في الرمل**. ثم

www.alkottob.com

خرج في اليوم الثاني واذا رجلان عبرانيان يتخاصمان. فقال للمذنب لماذا تضرب صاحبك. فقال من جعلك رئيسا وقاضيا علينا. أمفتكر انت بقتلي كما قتلت المصري. فخاف موسى وقال حقا قد عرف الامر. فسمع فرعون هذا الامر فطلب ان يقتل موسى. فهرب موسى من وجه فرعون وسكن في ارض مديان وجلس عند البئر) (خروج 2/ 11- 15).

ونحن نستغرب أمر فراره لأن له مكانة في قصر فرعون. فمن كان في مكانته هل يخشى من قتل إنسان من عامة الشعب؟ وممن يخاف وهو من السلطة نفسها؟

12- قبل الخروج من مصر يأمر موسى قومه بسرقة ونهب الشعب المصري:

(وفعل بنو اسرائيل بحسب قول موسى. طلبوا من المصريين امتعة فضة وامتعة ذهب وثيابا. واعطى الرب نعمة للشعب في عيون المصريين حتى اعاروهم. فسلبوا المصريين) (الخروج 12/ 35- 36).

13- موسى هذا يقول له الرب:

(فقال الرب لموسى انظر. انا جعلتك الها لفرعون. وهرون اخوك يكون نبيّك) (خروج 7/ 1).

14- يرتكب موسى وقومه مجزرة في مدين، فهم يقتلون الرجال ويسبون النساء والأطفال، وينهبون الأملاك ثم يحرقون مدن وحصون مدين (مديان):

(فارسلهم موسى الفا من كل سبط الى الحرب هم وفينحاس بن العازار الكاهن الى الحرب وامتعة القدس وابواق الهتاف في يده. فتجندوا على مديان كما امر الرب وقتلوا كل ذكر. وملوك مديان قتلوهم فوق قتلاهم. أوي وراقم وصور وحور ورابع. خمسة ملوك مديان. وبلعام بن بعور قتلوه بالسيف. وسبى بنو اسرائيل نساء مديان واطفالهم ونهبوا جميع بهائمهم وجميع مواشيهم وكل املاكهم. واحرقوا جميع مدنهم بمساكنهم وجميع حصونهم بالنار. واخذوا كل الغنيمة وكل النهب من الناس والبهائم. وأتوا الى موسى والعازار الكاهن والى جماعة بني اسرائيل بالسبي والنهب والغنيمة الى المحلّة الى عربات موآب التي على اردن اريحا. فخرج موسى والعازار الكاهن وكل رؤساء الجماعة لاستقبالهم الى خارج المحلّة. فسخط موسى على وكلاء الجيش رؤساء الالوف ورؤساء المئات القادمين من جند الحرب. وقال لهم موسى هل ابقيتم كل انثى حيّة. ان هؤلاء كنّ لبني اسرائيل حسب كلام بلعام سبب خيانة للرب في امر فغور فكان الوبأ في جماعة الرب. فالآن اقتلوا كل ذكر من الاطفال. وكل امرأة عرفت رجلا بمضاجعة ذكر اقتلوها) (عدد 31/ 6- 17).

ومن المعلوم أن موسى عندما فر من مصر، لجأ إلى مدين وأقام فيها وتزوج من بناتها!

15- يرتكب يشوع خليفة موسى هو وقومه مجزرة في أريحا. حيث قتلوا كل من فيها من رجال ونساء وشيوخ وأطفال حتى الحيوانات! ثم نهب جيشه الذهب والفضة والمعادن وأخيراً أحرقوا المدينة:

(فهتف الشعب وضربوا بالابواق. وكان حين سمع الشعب صوت البوق ان الشعب هتف هتافا عظيما فسقط السور في مكانه وصعد الشعب الى المدينة كل رجل مع وجهه واخذوا المدينة. من طفل وشيخ **وحرّموا كل ما في المدينة من رجل وامرأة حتى البقر والغنم والحمير بحد السيف**) (يشوع 6/ 20- 21).

وكذلك فعل هو وجيشه في مدينة عاي إلا أنهم لم يقتلوا البهائم:

www.alkottob.com

(ولم يبق في عاي او في بيت ايل رجل لم يخرج وراء اسرائيل. فتركوا المدينة مفتوحة وسعوا وراء اسرائيل. فقال الرب ليشوع مدّ المزراق الذي بيدك نحو عاي لاني بيدك ادفعها. فمدّ يشوع المزراق الذي بيده نحو المدينة. فقام الكمين بسرعة من مكانه وركضوا عندما مدّ يده ودخلوا المدينة واخذوها واسرعوا **واحرقوا المدينة بالنار**. فالتفت رجال عاي الى وراءهم ونظروا واذا دخان المدينة قد صعد الى السماء. فلم يكن لهم مكان للهرب هنا او هناك. والشعب الهارب الى البرية انقلب على الطارد. ولما رأى يشوع وجميع اسرائيل ان الكمين قد اخذ المدينة وان دخان المدينة قد صعد انثنوا وضربوا رجال عاي. وهؤلاء خرجوا من المدينة للقائهم فكانوا في وسط اسرائيل هؤلاء من هنا واولئك من هناك. وضربوهم حتى لم يبق منهم شارد ولا منفلت. واما ملك عاي فامسكوه حيّا وتقدموا به الى يشوع. وكان لما انتهى اسرائيل من قتل جميع سكان عاي في الحقل في البرية حيث لحقوهم وسقطوا جميعا بحد السيف حتى فنوا ان جميع اسرائيل رجع الى عاي وضربوها بحد السيف. فكان جميع الذين سقطوا في ذلك اليوم من رجال ونساء اثني عشر الفا جميع اهل عاي. ويشوع لم يرد يده التي مدها بالمزراق حتى حرّم جميع سكان عاي. لكن البهائم وغنيمة تلك المدينة نهبها اسرائيل لانفسهم حسب قول الرب الذي امر به يشوع. **واحرق يشوع عاي وجعلها تلا ابديا خرابا الى هذا اليوم**. وملك عاي علقه على الخشبة الى وقت المساء. وعند غروب الشمس امر يشوع فانزلوا جثته عن الخشبة وطرحوها عند مدخل باب المدينة واقاموا عليها رجمة حجارة عظيمة الى هذا اليوم) (يشوع 8/ 17- 29).

16- تتوقف الشمس عن المغيب ليتمكن يشوع من الانتقام من مهاجمي مدينة جبعون، والرب يحارب معه:

(فازعجهم الرب امام اسرائيل وضربهم ضربة عظيمة في جبعون وطردهم في طريق عقبة بيت حورون وضربهم الى عزيقة والى مقيدة. وبينما هم هاربون من امام اسرائيل وهم في منحدر بيت حورون رماهم الرب بحجارة عظيمة من السماء الى عزيقة فماتوا. والذين ماتوا بحجارة البرد هم اكثر من الذين قتلهم بنو اسرائيل بالسيف. حينئذ كلم يشوع الرب يوم اسلم الرب الاموريين امام بني اسرائيل وقال امام عيون اسرائيل يا شمس دومي على جبعون ويا قمر على وادي ايلون. فدامت الشمس ووقف القمر حتى انتقم الشعب من اعدائه. أليس هذا مكتوبا في سفر ياشر. فوقفت الشمس في كبد السماء ولم تعجل للغروب نحو يوم كامل. ولم يكن مثل ذلك اليوم قبله ولا بعده سمع فيه الرب صوت انسان. لان الرب حارب عن اسرائيل) (يشوع 10/ 10- 14).

فسيرة يشوع القتل والتدمير والنهب والحرق.. (2) ويتابع مَنْ بعده سيرته التي هي بهدي من الرب!!

17- كما فعل شاول مع العماليق:

(ثم جاء شاول الى مدينة عماليق وكمن في الوادي. وقال شاول للقينيين اذهبوا حيدوا انزلوا من وسط العمالقة لئلا اهلككم معهم وانتم قد فعلتم معروفا مع جميع بني اسرائيل عند صعودهم من مصر. فحاد القيني من وسط عماليق. وضرب شاول عماليق من حويلة حتى مجيئك الى شور التي مقابل مصر. وامسك اجاج ملك عماليق حيّا وحرّم جميع الشعب بحد السيف. وعفا شاول والشعب عن اجاج وعن خيار الغنم

www.alkottob.com

والبقر والثنيان والخراف وعن كل الجيد ولم يرضوا ان يحرّموها. وكل الاملاك المحتقرة والمهزولة حرّموها) (صموئيل الأول 15/ 5- 9).

ولكنه تساهل مع أجاج ملك العماليق وعفا عنه. وأبقى أجود الأغنام والبقر كغنيمة مما أغضب الله عليه، وجعله يندم على جعله ملكاً على إسرائيل. فقام صموئيل بقتل أجاج، وتحولت روح الرب عن شاول إلى داود:

(وقال صموئيل قدموا اليّ اجاج ملك عماليق. فذهب اليه اجاج فرحا. وقال اجاج حقا قد زالت مرارة الموت. فقال صموئيل كما اثكل سيفك النساء كذلك تثكل امك بين النساء. فقطّع صموئيل اجاج امام الرب في الجلجال. وذهب صموئيل الى الرامة. واما شاول فصعد الى بيته في جبعة شاول. ولم يعد صموئيل لرؤية شاول الى يوم موته لان صموئيل ناح على شاول والرب ندم لانه ملّك شاول على اسرائيل) (صموئيل الأول 15/ 32- 35).

(فقال الرب لصموئيل حتى متى تنوح على شاول وانا قد رفضته عن ان يملك على اسرائيل. املأ قرنك دهنا وتعال ارسلك الى يسّى البيتلحمي لاني قد رأيت لي في بنيه ملكا. فقال صموئيل كيف اذهب. ان سمع شاول يقتلني. فقال الرب خذ بيدك عجلة من البقر وقل قد جئت لاذبح للرب. وادع يسّى الى الذبيحة وانا اعلمك ماذا تصنع وامسح لي الذي اقول لك عنه. ففعل صموئيل كما تكلم الرب وجاء الى بيت لحم. فارتعد شيوخ المدينة عند استقباله وقالوا أسلام مجيئك. فقال سلام.قد جئت لاذبح للرب. تقدسوا وتعالوا معي الى الذبيحة. وقدس يسّى وبنيه ودعاهم الى الذبيحة. وكان لما جاءوا انه رأى اليآب فقال ان امام الرب مسيحه. فقال الرب لصموئيل لا تنظر الى منظره وطول قامته لاني قد رفضته. لانه ليس كما ينظر الانسان. لان الانسان ينظر الى العينين واما الرب فانه ينظر الى القلب. فدعا يسّى ابيناداب وعبره امام صموئيل. فقال وهذا ايضا لم يختره الرب. وعبّر يسّى شمّة. فقال وهذا ايضا لم يختره الرب. وعبّر يسّى بنيه السبعة امام صموئيل فقال صموئيل ليسّى الرب لم يختر هؤلاء. وقال صموئيل ليسّى هل كملوا الغلمان. فقال بقي بعد الصغير وهوذا يرعى الغنم. فقال صموئيل ليسّى ارسل وائت به. لاننا لا نجلس حتى يأتي الى ههنا. فارسل واتى به. وكان اشقر مع حلاوة العينين وحسن المنظر. فقال الرب قم امسحه لان هذا هو. فاخذ صموئيل قرن الدهن ومسحه في وسط اخوته. وحلّ روح الرب على داود من ذلك اليوم فصاعدا. ثم قام صموئيل وذهب الى الرامة) (صموئيل الأول 16/ 1- 13).

18- متابعة داود المجازر البشعة كما في مدن عمون، فهو بعد أن أخذ الغنائم:

(أخرج الشعب الذي فيها ووضعهم تحت مناشير ونوارج حديد وفؤوس حديد وأمرَّهم في أتون الآجرّ وهكذا صنع بجميع مدن بني عمون) (صموئيل الثاني 12/ 31).

أية قدسية هنا!! إنها الوحشية والسادية، والهمجية بأوضح صورها!! أين الظاهر والباطن، وأين الرموز، وأين المجاز؟!

19- يعجب داود بامرأة متزوجة، فيزني بها وتحمل منه، دون علم زوجها الغائب في ساحة القتال. فيستدعي داود زوجها أوريا الحثي من ساحة القتال، ويتحايل عليه لينام مع زوجته ليستر فضيحتها بحملها

www.alkottob.com

منه! ويأبى الجندي أن ينام مع زوجته وساحة المعركة تشغل باله. فيأمر داود أن يوضع في مقدمة الجيش ليقتل.. وتنجح خطة داود اللا أخلاقية ويقتل زوج عشيقته في الحرب. ويخلو له الجو، فيتزوج تلك المرأة وتنجب له سليمان الحكيم:

(وكان في وقت المساء ان داود قام عن سريره وتمشى على سطح بيت الملك فرأى من على السطح امرأة تستحمّ. وكانت المرأة جميلة المنظر جدا. فارسل داود وسأل عن المرأة فقال واحد أليست هذه بثشبع بنت اليعام امرأة اوريا الحثّي. فارسل داود رسلا واخذها فدخلت اليه فاضطجع معها وهي مطهّرة من طمثها. ثم رجعت الى بيتها. وحبلت المرأة فارسلت واخبرت داود وقالت اني حبلى. فارسل داود الى يوآب يقول ارسل اليّ اوريا الحثي. فارسل يوآب اوريا الى داود. فأتى اوريا اليه فسأل داود عن سلامة يوآب وسلامة الشعب ونجاح الحرب. وقال داود لاوريا انزل الى بيتك واغسل رجليك. فخرج اوريا من بيت الملك وخرجت وراءه حصة من عند الملك. ونام اوريا على باب بيت الملك مع جميع عبيد سيده ولم ينزل الى بيته. فاخبروا داود قائلين لم ينزل اوريا الى بيته. فقال داود لاوريا اما جئت من السفر. فلماذا لم تنزل الى بيتك. فقال اوريا لداود ان التابوت واسرائيل ويهوذا ساكنون في الخيام وسيدي يوآب وعبيد سيدي نازلون على وجه الصحراء وانا آتي الى بيتي لآكل واشرب واضطجع مع امرأتي. وحياتك وحياة نفسك لا افعل هذا الامر. فقال داود لاوريا اقم هنا اليوم ايضا وغدا اطلقك. فاقام اوريا في اورشليم ذلك اليوم وغده. ودعاه داود فاكل امامه وشرب واسكره. وخرج عند المساء ليضطجع في مضجعه مع عبيد سيده والى بيته لم ينزل. وفي الصباح كتب داود مكتوبا الى يوآب وارسله بيد اوريا. وكتب في المكتوب يقول. اجعلوا اوريا في وجه الحرب الشديدة وارجعوا من ورائه فيضرب ويموت. وكان في محاصرة يوآب المدينة انه جعل اوريا في الموضع الذي علم ان رجال البأس فيه. فخرج رجال المدينة وحاربوا يوآب فسقط بعض الشعب من عبيد داود ومات اوريا الحثّي ايضا. فارسل يوآب واخبر داود بجميع امور الحرب. واوصى الرسول قائلا عندما تفرغ من الكلام مع الملك عن جميع امور الحرب. فان اشتعل غضب الملك وقال لك لماذا دنوتم من المدينة للقتال. اما علمتم انهم يرمون من على السور. من قتل ابيمالك بن يربوشث. ألم ترمه امرأة بقطعة رحى من على السور فمات في تاباص. لماذا دنوتم من السور. فقل قد مات عبدك اوريا الحثي ايضا. فذهب الرسول ودخل واخبر داود بكل ما ارسله فيه يوآب. وقال الرسول لداود قد تجبر علينا القوم وخرجوا الينا الى الحقل فكنا عليهم الى مدخل الباب. فرمى الرماة عبيدك من على السور فمات البعض من عبيد الملك ومات عبدك اوريا الحثي ايضا. فقال داود للرسول هكذا تقول ليوآب. لا يسوء في عينيك هذا الامر لان السيف ياكل هذا وذاك. شدد قتالك على المدينة واخربها. وشدّده. فلما سمعت امرأة اوريا انه قد مات اوريا رجلها ندبت بعلها. ولما مضت المناحة ارسل داود وضمها الى بيته وصارت له امرأة وولدت له ابنا. واما الامر الذي فعله داود فقبح في عيني الرب) (صموئيل الثاني 11/ 2- 27).

20- أمنون بن داود يضاجع أخته "ثامار":

(وجرى بعد ذلك انه كان لابشالوم بن داود اخت جميلة اسمها ثامار فاحبها امنون بن داود. وأحصر امنون للسقم من اجل ثامار اخته لانها كانت عذراء وعسر في عيني امنون ان يفعل لها شيئا. وكان لامنون

www.alkottob.com

صاحب اسمه يوناداب بن شمعى اخي داود. وكان يوناداب رجلا حكيما جدا. فقال له لماذا يا ابن الملك انت ضعيف هكذا من صباح الى صباح. أما تخبرني. فقال له امنون اني احب ثامار اخت ابشالوم اخي. فقال يوناداب اضطجع على سريرك وتمارض. واذا جاء ابوك ليراك فقل له دع ثامار اختي فتأتي وتطعمني خبزا وتعمل امامي الطعام لارى فأكل من يدها. فاضطجع امنون وتمارض فجاء الملك ليراه. فقال امنون للملك دع ثامار اختي فتأتي وتصنع امامي كعكتين فآكل من يدها. فارسل داود الى ثامار الى البيت قائلا اذهبي الى بيت امنون اخيك واعملي له طعاما. فذهبت ثامار الى بيت امنون اخيها وهو مضطجع. واخذت العجين وعجنت وعملت كعكا امامه وخبزت الكعك. واخذت المقلاة وسكبت امامه فابى ان ياكل. وقال امنون اخرجوا كل انسان عني. فخرج كل انسان عنه. ثم قال امنون لثامار ايتي بالطعام الى المخدع فآكل من يدك. فاخذت ثامار الكعك الذي عملته وأتت به امنون اخاها الى المخدع. وقدمت له لياكل فامسكها وقال لها تعالي اضطجعي معي يا اختي. فقالت له لا يا اخي لا تذلني لانه لا يفعل هكذا في اسرائيل. لا تعمل هذه القباحة. اما انا فاين اذهب بعاري واما انت فتكون كواحد من السفهاء في اسرائيل. والآن كلم الملك لانه لا يمنعني منك. فلم يشأ ان يسمع لصوتها بل تمكن منها وقهرها واضطجع معها) (صموئيل الثاني 13/ 1- 14).

21- أبشالوم بن داود يمارس الجنس مع سراري أبيه في خيمة على السطح، أمام جميع بني إسرائيل:

(وقال ابشالوم لاخيتوفل اعطوا مشورة ماذا نفعل. فقال اخيتوفل لابشالوم ادخل الى سراري ابيك اللواتي تركهنّ لحفظ البيت فيسمع كل اسرائيل انك قد صرت مكروها من ابيك فتتشدد ايدي جميع الذين معك. فنصبوا لابشالوم الخيمة على السطح ودخل ابشالوم الى سراري ابيه امام جميع اسرائيل. وكانت مشورة اخيتوفل التي كان يشير بها في تلك الايام كمن يسأل بكلام الله. هكذا كل مشورة اخيتوفل على داود وعلى ابشالوم جميعا) (صموئيل الثاني 16/ 20- 23) (3).

22- يمرض ابن داود (من عشيقته امرأة أوريا الذي دفعه داود إلى الموت) فصام داود وتألم.. ويموت الطفل، فيترك داود الصيام. ويتابع الإصحاح حديثه بأن داود مر على زوجته وعزاها، ثم اضطجع معها!! وكانت أن حملت منه وولدت سليمان:

(وذهب ناثان الى بيته وضرب الرب الولد الذي ولدته امرأة اوريا لداود فثقل. فسأل داود الله من اجل الصبي وصام داود صوما ودخل وبات مضطجعا على الارض. فقام شيوخ بيته عليه ليقيموه عن الارض فلم يشأ ولم ياكل معهم خبزا. وكان في اليوم السابع ان الولد مات فخاف عبيد داود ان يخبروه بان الولد قد مات لانهم قالوا هوذا لما كان الولد حيّا كلمناه فلم يسمع لصوتنا. فكيف نقول له قد مات الولد. يعمل اشرّ. ورأى داود عبيده يتناجون ففطن داود ان الولد قد مات. فقال داود لعبيده هل مات الولد. فقالوا مات. فقام داود عن الارض واغتسل وادّهن وبدل ثيابه ودخل بيت الرب وسجد ثم جاء الى بيته وطلب فوضعوا له خبزا فأكل. فقال له عبيده ما هذا الأمر الذي فعلت. لما كان الولد حيّا صمت وبكيت ولما مات الولد قمت واكلت خبزا. فقال لما كان الولد حيّا صمت وبكيت لاني قلت من يعلم ربما يرحمني الرب ويحيا الولد. والآن قد مات فلماذا اصوم. هل اقدر ان ارده بعد. انا ذاهب اليه واما هو فلا يرجع اليّ. وعزّى داود بثشبع

www.alkottob.com

امرأته ودخل اليها واضطجع معها فولدت ابنا فدعا اسمه سليمان والرب احبه) (صموئيل الثاني 12/ 15-24).

23- سليمان الروحاني صاحب الحكم والأمثال، كيف كان يجد الوقت لعبادة الله ومناجاته وله سبعمئة من النساء السيدات، وثلاثمئة من السراري (4). وأكثر من هذا عبد آلهة وثنية:

(وكانت له سبع مئة من النساء السيدات وثلاث مئة من السراري فامالت نساؤه قلبه. وكان في زمان شيخوخة سليمان ان نساءه أملن قلبه وراء آلهة اخرى ولم يكن قلبه كاملا مع الرب الهه كقلب داود ابيه. فذهب سليمان وراء عشتروت إلاهة الصيدونيين، وملكوم رجس العمونيين) (الملوك الأول 11/ 3- 5).

ونشيد الإنشاد له ما هو إلا غزل جنسي مبتذل فاضح يتنافى مع توحيده. وليس غزلاً صوفياً في الإله كما يدعي أهل الرمز والباطن. وقد مر الحديث عنه (5). وسليمان كأبيه داود، فهو يحاول أن يسرق فتاة ريفية من حبيبها مستخدماً سلطته كملك، وغزله كشاعر!!

فنشيد الإنشاد يحكي أن فتاة جميلة جداً كانت تحب فتى راعياً، وقد صادفها سليمان فوقع في غرامها، وأجبرها على الزواج منه في حفل كبير سار بها إلى قصره. وهناك حاول أن يكتسب محبتها بالغزل الجسدي، ولكنه لم يستطع أن يمتلك قلبها، بالرغم من سيطرته على جسدها، لأنها بقيت وفية بروحها ومشاعرها لحبيبها الراعي . فأخفق سليمان في الحصول على قلبها، وهذا جرح لكبريائه. فتركها تمضي إلى حبيبها.

* * *

ليس الهدف حصر الأفعال اللا أخلاقية والتناقضات كلها، فهي كثيرة ومعروفة، وسفر القضاة وحده كاف ليعطينا صورة بانورامية عن أولاد الرب.. وما ذكر يكوّن فكرة عن ذلك.

ويمكن أن نضيف بعض الآراء المعاصرة حول جرائم اليهود تجاه شعب كنعان (6).

لقد جاء بنو إسرائيل إلى فلسطين بوحشية لا مثيل لها تحدث عنها الكثيرون، يقول غوستاف لوبون:

(إن عدد بني إسرائيل واحتياجاتهم وبؤسهم في مصر وحرمانهم الهائل في التيه مما جمع بينهم وأقنطهم فصاروا كقطيع من الذئاب الهزيلة التي دفعها الجوع إلى الاقتراب حتى من المدن) (7).

ويتحدث فراس السواح عن اليهود الرعاة وكيف دخلوا فلسطين:

(دخلت هذه الجموع الرعوية الجائعة أرض فلسطين من الجنوب وانقضت على المراكز الكنعانية المتحضرة ومدن فلسطين، وكان تقدمها بطيئاً جداً إلا أن سياسة الإفناء التي اتبعوها لم يذكر لها التاريخ مثيلاً إلا لماماً) (8).

ويتحدث مصطفى مراد الدباغ عن جرائم يشوع (يوشع) فيقول:

(استمر يوشع وقومه في إفناء الكنعانيين رغماً عن مقاومتهم الرائعة والباسلة وقد لا نجد مثيلاً لهذا الإسراف في القتل والنهب والتخريب والاستمتاع بها بدون مبرر في تاريخ الحروب وستبقى هذا الأعمال الوحشية التي قام بها اليهود ضد سكان فلسطين مثلاً أبدياً لفظاعتهم ووحشيتهم) (9).

ويتساءل ندرة اليازجي ماذا تعلمنا التوراة؟ وبعد أن يستعرض جانباً من المواقف اللا أخلاقية يجيب:

www.alkottob.com

(لا نتعلم درساً أخلاقياً من التوراة فهي مدرسة للفساد والشر...)، (إننا نجد في التوراة إلهاً قاسياً محباً للقتال والخصام مريقاً للدم وراغباً في المحرقات والذبائح. يعمل على إشعال الفتنة فيكون مع شعب يتخذه لذاته ضد شعب آخر يمقته)، (ونجد في التوراة دروساً في الشر والفساد، فكل شخصية فيها أو شخص يحمل في ثناياه بذور الانحطاط فتصل أعماله إلى درجة دنيا من المكر والخديعة والشهوة...)، (وفي التوراة لا نجد إلا التهديم الخلقي والتشجيع على المنكرات والفحشاء) (10).

ويخصص جورجي كنعان كتاباً حول اللا أخلاقية التي اتسمت بها التوراة والعهد القديم.. ويبين فيه حقيقة وجوهر العهد القديم كمبادئ لا أخلاقية وكشخصيات لا أخلاقية أيضاً.. ويدحض دعاوى الصهاينة ومن يدور في فلكهم من المسيحيين المؤمنين بالعهد القديم! ويوازن بين أخلاقية اليهود قديماً وحديثاً.. كما يوازن بين أخلاق العهد القديم الساقطة، وبين سمو أخلاق الشعوب المزامنة لذلك العهد) (11).

ويقول محمد عزة دروزة:

(إن القبيل الإسرائيلي قد جاء شاذاً حيث كان في مختلف سيرته المعروفة منذ القرن الثاني عشر قبل الميلاد من أسوأ ما يكون قسوة وظلماً وعدواناً وحقداً وشرهاً وانحرافاً إلا قليلاً جداً على ما يبدو من خلال تاريخهم نتيجة لعقدهم النفسية التي انفردوا بها) (12).

هذا هو واقع شخصيات التوراة والعهد القديم كله، فهل تنعكس عليه الحقيقة المطلقة!؟

إنه دون شك يتناقض تماماً مع الحق والخير والعدل، فالشخصيات قطعان من البدو الرحل الهمج التي لم تعرف الحضارة ولا الرقي. ولا يمكن أن تكون لها أية علاقة بالمطلق.

وكمحاولة لخداع الآخرين، حاول بعضهم من خلال الدراسات أو شروحات العهد القديم، أن يقدم تفسيرات تتناول ظاهر النص كرمز له مدلوله الباطني. وقد غرق اللاهوتيون (غنوصيون، باطنيون، ثيوصوفيون) في بحر من الأوهام والخداع. متناسين الفرق بين المجاز كتشبيه واستعارة وكناية... وبين بدائية الحرفية المطلقة. والرمزية كبعد ثقافي عميق، والسطحية الساذجة ودونما أي عمق!!

فقضايا الظاهر والباطن، والرمز والتأويل هي إسقاطات لا قيمة لها علمياً وعقلياً، لأنها لا تخضع لعلم أو عقل أو منطق، وإنما هي شعوذات وهلوسات لا أكثر.

وهي تعبر عن اللا شعور الدفين المتقزز من هذه الأعمال اللا أخلاقية. فتبحث عن المخرج من هذا المأزق، فتجده في التفسير الباطني، وتخدع نفسها فقط بتبرير ما هو مستنكر ومرفوض عقلياً وأخلاقياً!!

وطبعاً في إطار السرية والرمز ليس من حق كل من هب ودب أن يفسر! فهذا حكر على أولي الأمر والعلم اللاهوتي والمتبحرين في الدين. لذا لا يوجد مقياس لهذا الباطن إلا النزعة الفردية وما يشطح به خيالها.

إن الفيلسوف اليهودي فيلون الذي عاش في الإسكندرية في القرن الأول للميلاد، قام بشرح الدين اليهودي بالاعتماد على الفلسفة اليونانية. وله تأثير كبير على فلسفة الدين اليهودي. فقد استخدم الظاهر والباطن، والرمز في تفسير النص. وقد فتح الأبواب لمن بعده كالغنوصيين ليتفننوا في هذا المجال.

وجاء في كتاب الملل والنحل: (المقاربة أتباع يوذعان اسمه يهوذا: زعم أن للتوراة ظاهراً وباطناً وخالف بتأويلاته عامة اليهود) (13).

www.alkottob.com

إن الثيوصوفية جعلت في النهاية ظاهر النص لا قيمة له، يتمسك به من ليس بقدرته الغوص إلى الأعماق، إلى الجوهر. وهؤلاء هم عامة الشعب الجاهل. بينما أصحاب التفسير والتأويل هم من الخاصة!!

إذاً إن اللجوء إلى الرمز والتفسير الباطني للنص الديني، يعبر عن حقيقة واضحة وهي، عدم القناعة بتفاهة المطروح. وبما أن الإيمان تسليم مسبق بصحة النص، كان لا بد من الظاهر والباطن، لأنه من خلال التأويل يمكن وبسهولة، أن تجعل الأسود أبيض، والرذيلة فضيلة. وبالتالي يمكن بسهولة تأويل أشعار سليمان بغزل صوفي عميق بالذات الإلهية!؟

وطبعاً هذا الدجل واضح. فلا يمكن قلب الصورة لتبرير القبح والشناعة والفظاعة والانحطاط. والنص له مدلولاته ولا حاجة للمؤمنين به أن يفتقوا أدمغتهم بحثاً عن قشة يسترون بها عري النص!!

وهكذا نرى أن شخصيات التوراة من أنبياء وقادة وزعماء، **لا يتصفون بصفة الإنسان الكامل**، وبالتالي لا تنعكس على أفعالهم وأعمالهم صفات المطلق. **كما أن يهوه لا يتصف أبداً بصفات المطلق. فلا الرب تحققت فيه صفات الإله الحقيقي، ولا الشخصيات تجلت فيها روح الإله. وهذا يعني سقوط النص نهائياً.**

* * *

www.alkottob.com

1- سارة "ساراي" لها مكانة عظيمة عند اليهود لأنها مثال للأمومة والتقوى. وقد اشتهرت بجمالها الرائع. وعندما نزلت إلى مصر مع زوجها إبراهيم أيام القحط، خاف إبراهيم أن يقتله المصريون بسببها، لذلك ادعى بأنها أخته. واليهود يقولون إنها أخته من أم أخرى حرة، وليست شقيقة له!!

وفي دائرة المعارف الكتابية: (ورأى المصريون سارة ومدحوها لدى فرعون، فضمها إلى حريمه، وصنع إلى ابرام خيراً عظيماً بسببها). وترد الجملة نفسها مع أبيمالك ملك جرار حيث (ادعى إبراهيم أن سارة هي أخته، فضمها أبيمالك ملك جرار إلى حريمه).

في كتابه "تاريخ سوريا القديم" يرفض د. أحمد داود، الكذبة المنسوبة لإبراهيم، ويعد ذلك خطأً في الترجمة، ويقول إن المقصود بأختي هو قريبتي. إذاً يوافق على جانب من الخبر ويرفض جانباً، وهذا الكلام غير منطقي! فإذا كانت التوراة تريده أن يكون كاذباً، والسياق بكامله يدل على ذلك، فما معنى هذا الدفاع!؟ ثم إن القضية لها بعد آخر وهو الأهم؛ فقد قبل إبراهيم بذهاب امرأته لتنام مع فرعون، ثم مع ملك جيرار!!

والكتبة يريدون تعليم أتباعهم دروساً في الميكافيلية والبراجماتية، ولو أرادوا غير ذلك، لما جعلوا إبراهيم يذهب إلى مصر أو جرار!!

2- جاء في كتاب الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية: د. رشاد عبد الله الشامي - ص 171: (هذه النصوص التوراتية التي تغذي الوجدان الإسرائيلي بمبررات العنف والقسوة والوحشية الحيوانية تدرس في المدارس الإسرائيلية) . وفي الصفحة 172 نقل عن بن جوريون قوله: (إنني أعتبر يشوع هو بطل التوراة). وفي الصفحة 176 يتحدث عن اليهود المعاصرين في فلسطين في وحشيتهم واقتدائهم بالتوراة ليصل إلى: (وهذا التطرف الديني والعنصري في النظرة الصهيونية الجديدة لغير اليهود يعكس دمجاً فكرياً بين القومية المعادية للأجانب وبين التطرف الديني ضيق الأفق).

3- جاء في دائرة المعارف الكتابية، أن أبشالوم عندما أذل أمنون أخته ثامار بمضاجعتها: (وأغمض داود عينيه عن هذه الجريمة الشنيعة، وأهمل توقيع القصاص المناسب، اغتاظ أبشالوم بحق، واختزن أبشالوم غضبه في نفسه، وبعد مرور سنتين رسم أبشالوم خطة للإيقاع بأمنون ليثأر لأخته. فعمل وليمة عظيمة لأبناء الملك في بعل حاصور، وجاء أمنون بين من جاءوا، وهناك لقي أمنون حتفه على أيدي عبيد أبشالوم).

ويستغرب الإنسان من حمية أبشالوم على أخته، وحرصه على الشرف الرفيع، في الوقت الذي يمارس فيه الجنس مع سراري أبيه داود في خيمة على السطح، أمام جميع بني إسرائيل.

4- يرى المفسرون الباطنيون والرمزيون أن فعلة سليمان هذه كانت السبب في انقسام المملكة وانشقاقها!!

وفي قصة الحضارة: يرى ول ديورانت في الصفحة 337 من المجلد الأول - الجزء الثاني: أن اهتمام سليمان بحريمه أكثر من اهتمامه بالعبادة:

www.alkottob.com

(ولما فرغ سليمان من إقامة ملكه شرع يستمتع به وأخذت عنايته بالدين تقل على مر الأيام كما أخذ يتردد على حريمه أكثر مما يتردد على الهيكل).

جاء في دائرة المعارف الكتابية: (كما لم يحس سليمان- الإحساس الكافي- برسالته للعالم، بل بالحري سمح بالعبادات الوثنية فى بلاده، بل وبالقرب من هيكل الرب فى أورشليم، ولم يبذل أي جهد واضح فى نشر عبادة يهوه بين الشعوب المجاورة، فضاعت منه هذه الفرصة الذهبية. والأدهى من ذلك أنه أحب "نساء غريبة كثيرة... موآبيات وعمونيات وأدوميات وصيدونيات وحثيات من الأمم الذين قال عنهم الرب لبني إسرائيل، لا تدخلون إليهم، وهم لا يدخلون إليكم لأنهم يميلون قلوبهم وراء آلهتهم". وهو ما تحقق - للأسف - لأنه فى شيخوخته "أملن قلبه وراء آلهة أخرى، ولم يكن قلبه كاملاً مع الرب إلهه كقلب داود أبيه... وعمل سليمان الشر فى عيني الرب" وبنى مرتفعات للعديد من الأوثان" لجميع نسائه الغريبات اللواتي كن يوقدن ويذبحن لآلهتهن، فغضب الرب على سليمان لأن قلبه مال عن الرب إله إسرائيل الذى تراءى له مرتين..." مما جعل الرب يمزق المملكة عنه ويعطيها لعبده (1مل 11: 1-13)، وكان فى تعدد الزوجات مثالاً سيئاً للشعب وللعالم حوله).

5- يقول ول ديورانت في كتابه: قصة الحضارة المجلد الأول - الحزء الثاني - صفحة 387- 388:

(وإذا ما وضعنا إلى جانب هذه المزامير "نشيد سليمان" لاح لنا ما في الحياة اليهودية من عنصر شهواني دنيوي لعل كُتَّاب العهد القديم- وهم الذين يكادون كلهم ان يكونوا من الأنبياء والكهنة- قد أخفوه عنا كما يكشف سفر الجامعة عن تشكك لا نتبينه فيما عنى الكتاب باختياره ونشره من أدب اليهود الأقدمين. وفي هذه الكتابات الغرامية العجيبة مجال واسع للحدس والتخمين. فقد تكون مجموعة من الأغاني البابلية الأصل تشيد بذكر أشتار وتموز وقد تكون من وضع جماعة من شعراء الغزل العبرانيين تأثروا بالروح الهيلينية التي دخلت إلى بلاد اليهود مع الإسكندر الأكبر, لأن في هذه الأغاني ألفاظاً مأخوذة من اللغة اليونانية).

6- راجع كتاب "الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية": د. رشاد عبد الله الشامي. فهو يتحدث في الصفحة 167 وما بعد، عن الروح العدوانية في التراث الديني اليهودي. ثم يوازنه بعدوانية اليهود في العصر الحديث.

7- عن كتاب تاريخ فلسطين القديم: ظفر الإسلام خان - ص 34.

8- فراس السواح: مغامرة العقل الأولى - ص 164.

9- مصطفى مراد الدباغ: بلادنا فلسطين - ج1 - القسم الأول - ص 553- 554: يتحدث في الهامش في الموضع نفسه عن تكرار هذه المجازر في العصر الحديث: دير ياسين عام 1948, مجزرة قبية عام 1953، ومجزرة غزة عام 1955، ومذبحة كفر قاسم عام 1956، ومذابح قطاع غزة عام 1956...

10- ندرة اليازجي: رد على التوراة - ص 180- 181 تحت عنوان "ماذا تعلمنا التوراة"؟

11- د. جورجي كنعان: أمجاد إسرائيل في أرض فلسطين.

12- محمد عزة دروزة: تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم - ص 526.

13- الشهرستاني: الملل والنحل: المقاربة واليوذعانية - الجزء الأول - ص 216 وما بعد.

www.alkottob.com

الخاتمة

في هذا العمل، نقد الدين اليهودي، عرضنا صوراً من العهد القديم، وهي وإن كانت جزئية، إلا أنها تسقط الدين كله، لأنه إذا سقط من الدين جزء سقط الكل!

ولقد رأينا حقيقة الدين اليهودي، فهو أولاً سرق تراث المنطقة، ونسبه إليه وإلى يهوه. ثم أسس القومية النرجسية والتي أدت إلى العنصرية والانغلاق والكراهية للآخر وعدم القبول به. ودعا للسرقة والنهب والاستيلاء والسيطرة، وحض بشراهة وشراسة على القتل وسفك الدماء.

وهكذا دعوات ما هي إلا دعوات بدائي همجي، يقود قطعاناً من الذئاب المتوحشة إلى أرض حضارية وإنسانية. وتلك الحقائق تتناقض مع الحق والخير والعدل، أي تتناقض مع المطلق. فالدين اليهودي لا يحمل أية قدسية، ولا علاقة له بالقيم أو المثل أو الكمال!!

وما نراه على أرض الواقع في الحياة المعاصرة، من جرائم اليهود سواء أكانت في فلسطين المحتلة، أم في الدول العربية، ما هو إلا انعكاس لتلك الإيديولوجيا الدينية.

وما مجازر يشوع وغيره قديماً، ومجازر اليهود العصرية كدير ياسين، وكفر قاسم، وقانا، والضفة، والقطاع.... وآلاف الجرائم التي يحفل بها السجل اليهودي عبر تاريخه، إلا مؤشر على أن العهد القديم يمارس بدقة من قبل اليهود!

ونود أن نذكر أن آباء الحركة الصهيونية والمؤسسين الأوائل ادعوا العلمنة، ولكن نحن لا ننخدع بتلك الادعاءات، فإنما هي خداع لتحسين موقعهم أمام دول أعلنت العلمنة.

فهم استخدموا الدين لبناء قوميتهم العنصرية، واتخذوا نجمة داود رمزاً لعلمهم، وما نجمة داود إلا إشارة إلى المملكة التوراتية، والخطان الأزرقان إشارة إلى وعد يهوه من النيل إلى الفرات.

فاليهود في عمقهم الدين، وهم غارقون فيه، وهو نفسه علّمهم الازدواجية، والتلون بعشرات الألوان لتحقيق أهدافهم اللا أخلاقية التي يسعون إليها.

ولا يمكن فصل اليهودية كدين، عن العنصرية، عن الصهيونية، عن القضية الاستعمارية. فهل من يدعي العلمانية من اليهود، قلّت جرائمه عن المتطرفين المتدينين والحاخامات بدءاً من بن جوريون وعصاباته، ومروراً بحزب العمل، وانتهاء بإسحاق رابين وشمعون بيريز وباراك؟! بل ما الفرق الجوهري بين ما يسمى اليمين واليسار؟!

إن كاتبي العهد القديم، فاتهم أن المستقبل سيكشف كل شيء، فلغبائهم ظنوا أن الكذب سيستمر إلى ما لا نهاية. كما هو الحال الآن بالنسبة لسرقة فلسطين، فهل سرقتها إلى الأبد؟!

إن الاستعمار الصهيوني اليهودي سينتهي كما انتهى أي استعمار في العالم، لأن المال هو إله إسرائيل الغيور. والاستعمار بطبيعته له حساباته في الربح والخسارة، وعندما تميل الكفة لصالح الخسارة وتتلاشى الفائدة والنفع، سيفر كفراره من فيتنام، ومن جنوب لبنان...

الجوهر واحد لأعدائنا؛ وهو يكمن في هذه الديانة اليهودية العنصرية والمتعطشة للسلب والسيطرة والدماء.

www.alkottob.com

ونحن في هذه الدراسة لم ندخل في معمعة فصل اليهودية كدين عن المشروع الاستعماري، لأن الواقع يقول غير ذلك، ولأن حاخامات إسرائيل والمتدينون يفحون بالسموم كل يوم!

وهذا يعني أن كل يهودي متدين هو عنصري، استعماري، وبالتالي لا أخلاقي حتماً! لأن ذاك هو جوهر دينه كما بينته الدراسة. ونحن نقول عكس ما هو شائع: إن كل يهودي متدين، متعصب، ومستعمر، ولا أخلاقي، ومجرم، إنما هو ملتزم التزاماً كاملاً بدينه، ويطبق تمام التطبيق تعاليم دينه، ويستحق وسام الالتزام من درجة الشرف!

وبقدر ما يتخلى اليهودي عن عنصريته، ونرجسيته.... وبقدر ما ينفتح على الآخرين (الغوييم) ويخرج من قوقعته (الغيتو). ويتعايش مع الآخرين بصدق وإخلاص ومحبة، بقدر ما نستطيع أن نقول إنه خرج من يهوديته، أي هو غير متدين. وبالتالي تنتهي مشكلته.

* * *

www.alkottob.com

الملحق الأول: أرض كنعان وعسير

كتاب "التوراة جاءت من جزيرة العرب" للد. كمال الصليبي, يعيد قراءة جغرافية التوراة والأسماء التي وردت فيها بناء على تشابه الأسماء بين التوراة ومنطقة عسير. وإن تاريخ التوراة كله قد جرى هناك وحتى فترة الأسر البابليّ، ومعه انتهت المملكة. وفقدت مكانتها التجارية كمعبر للطرق القديمة. وكان ذلك منذ القرن الخامس قبل الميلاد. وبعد عودتهم من الأسر البابلي، وجدوا ديارهم خراباً، فاتجهوا شمالاً. وفيما بعد أسقطوا أسماء مدنهم وقبائلهم على الأماكن والمواضع في فلسطين. وإن شعب الفلست كانوا مجاورين لبني إسرائيل في غرب الجزيرة العربية، وقد انتهى أمرهم قبل انتهاء أمر بني إسرائيل بما يقارب الـ 500 سنة... ويرفق خرائط توضح جغرافيته الجديدة.

يقول الكاتب ص 27:

(فاليهودية لم تولد في فلسطين بل في غرب شبه الجزيرة العربية ومسار تاريخ بني إسرائيل كما روي في التوراة العبرية كان هناك في غرب الجزيرة العربية وليس في أي مكان آخر).

ويكشف الكاتب إخفاق علماء التوراة في فلسطين في بحثهم عن جغرافية التوراة والعهد القديم ونتيجة ذلك الإخفاق والعجز يقومون بالتزوير والتلفيق.. وسبب الإخفاق هو أن جغرافية العهد القديم، لا تنطبق على فلسطين، في الوقت الذي تنطبق فيه على جغرافية غرب الجزيرة العربية (عسير) من الطائف وحتى اليمن عند جيزان بطول 600 كم وعرض 200 كم تقريباً.

يقول الكاتب ص 115:

(إن الافتراض بأن أرض التوراة العبرية كان فلسطين لم يؤد إلى تشويش الموضوع في حقل علم الآثار الفلسطيني وفي قراءة المنقوشات الكنعانية والمنقوشات الأخرى التي عثر عليها في فلسطين وتأويلها وحسب بل هو فرض أحكاماً مسبقة على دراسة كل نصوص الشرق الأدنى القديمة الأخرى التي تتعلق بتاريخ التوراة بشكل مباشر أو بشكل غير مباشر).

وفي هذه القراءة الجديدة نجد أن إبراهيم ويعقوب ويوسف وموسى حتى مملكة داود وسليمان، بل وآدم وحواء وجنة عدن وغير ذلك.... كله تم في غرب الجزيرة العربية. وما زالت حتى الآن الأسماء الجغرافية الكثيرة، وأسماء القبائل في تلك البقعة!

ويحدد هناك أرض الميعاد (ص 259). بل ويرسم خارطة تطابق معلومات العهد القديم (ص 269).

ويتحدث عن نشيد الإنشاد لسليمان بأنه نشيد فيه تصوير جبال منطقة جيزان (ص 281).

حتى أرض يهوذا وأورشليم هناك. والشعوب التي ذكرت بأنها في فلسطين ككنعان والفلستين وغيرهم!

وبعد انقسام دولة إسرائيل غرب الجزيرة إلى دولتين، بادت نتيجة الحروب بين الدولتين, وبدأت الهجرة للخارج.

www.alkottob.com

ثم جاء الملك الآشوري سرجون الثاني 721 ق.م وأنهى مملكة إسرائيل، وساق أعيانهم أسرى إلى بلاد فارس. وفي عام 586 ق.م قضى الملك البابليّ نبوخذ نصر على مملكة يهوذا غرب الجزيرة وقادهم أسرى إلى بابل (ص 39).

وهكذا انتهت دولتهم:

(فلما ساءت أحوال الإسرائيليين في غرب شبه الجزيرة العربية صار اليهود هناك يتوسمون الخير والأمل في أرض الاستيطان اليهودي الجديدة في فلسطين) (ص 40).

كما أن الفرس الذين أعادوا 40 ألفاً من الأسرى الإسرائيليين، إنما أعادوهم إلى غرب الجزيرة العربية:

(لكن سرعان ما خابت آمال هؤلاء الإسرائيليين العائدين إذ وجدوا كل ما حولهم خراباً وفقراً وذلك على عكس ما كانوا يتصورون) (ص 43).

وهكذا بدأ التشتت، ولكن هؤلاء حافظوا على دينهم.. وقد اضمحلت لغتهم العبرية شيئاً فشيئاً حتى ماتت!

وهذا الكتاب يعني نقل جغرافية العهد القديم إلى الجزيرة العربية. والسؤال هل تصحيح جغرافية المكان يغير حقيقة النص؟ نحن نناقش النص الديني بما يطرحه، إن كان متطابقاً مع العلم والحقيقة والأخلاق. فجغرافية المكان لا تمس طبيعة البحث. ولكن من جانب آخر هناك عدة قضايا تطرح أمام الجغرافية الجديدة!

فهناك إقرار بصحة العهد القديم ولا سيما التوراة (الأسفار الخمسة الأولى أو الستة) - والكاتب يعلن إيمانه الصريح بالتوراة - وإقرار بتواجدهم في منطقة الجزيرة، وإقرار بقيام المملكة التي صنعها داود! كما أن هناك اعترافاً بالقرابة العربية الإسرائيلية، وصحتها نتيجة المتاخمة في المكان. فبهذه القراءة تكون هناك جذور لليهود العرب في عسير. ويهود الجزيرة قبل الإسلام إنما هم أحفاد أولئك الأجداد!

إن خطورة هذا الكلام تجعل البعض يدعي قرابة اليهود لنا!؟ فهل اليهودي القادم من روسيا أو أمريكا أجداده الأوائل أبناء عمومة لأجداد العرب!؟ لا قرابة مطلقاً بين اليهود وبين أبناء فلسطين. ولا بين اليهود وشعب عسير لا قديماً ولا حديثاً!! فهم كلهم غرباء ينتمون إلى جنسيات مختلفة، ولن ندخل في اللعبة التي صنعوها هم وصدقها أولئك البعض.

والقضية الثانية: هل الجغرافية الجديدة - إن ثبتت صحتها - ستحول قلب المؤمن بالتوراة، من الارتباط بفلسطين، إلى الارتباط بمنطقة عسير، بعد كشف زيف الجغرافية القديمة للتوراة!؟ بل هل المشروع الصهيوني المستند في إيديولوجيته إلى العهد القديم، سيلغي مشروعه فوق أرض فلسطين، وينتقل إلى عسير إن صحت المعلومات أثرياً؟!

لن يتغير أي شيء!! والمشروع الاستعماري سيبقى كما هو، لأن المشروع الإستراتيجيّ وجد أولاً، ثم بحث عن الذرائع ثانياً!

والنص سيبقى أساطير وأكاذيب، بما في ذلك الوعد، ولا يحمل إلا العنصرية في الجنس والدين والإله.. وسيبقى الوعد عملاً لا أخلاقياً سواء أكان على أرض فلسطين، أم على أية أرض أخرى! والخطورة في نقل الجغرافيا هي الإقرار بالتاريخية!

www.alkottob.com

ونحن نناقش النص كدين من عند الله كما يؤمن به أصحابه اليهود، ولا نناقش الجغرافيا. لأن الجغرافيا ملحقة، والأولوية لمضمون النص!

والقضية الأخيرة هي: إذا كان اليهود هم الذين أطلقوا أسماء المدن والقرى والجبال والسهول والوديان على أرض كنعان (بعد أن تخلوا عن عسير الخراب "نتيجة الترك، أو الزلازل، أو البراكين..."، بعد عودتهم من السبي، سواء أكان ذلك مباشرة أم بعد ذلك بعشرات السنين)، فهذا يعني أحد الاحتمالين التاليين:

1- فلسطين كانت خالية، وبالتالي اليهود بنوا المدن والقرى، وأطلقوا عليها الأسماء التي جلبوها من عسير!

2- فلسطين كانت عامرة بالمدن والقرى، ولكل شيء اسمه، وعندما جاء اليهود من عسير، أسقطوا الأسماء التي حملوها على فلسطين!

والاحتمال الأول مستحيل تاريخياً وجغرافياً. كما أن الاحتمال الثاني، استحالته أكبر. لأن السؤال سيكون: كيف استطاع اليهود تثبيت الأسماء التي أسقطوها على المدن والقرى والسهول والجبال، مع غسل دماغ شعب فلسطين، من الأسماء السابقة التي توارثوها وحفظوها. فمتى، وكيف، تمت عملية محو الأسماء القديمة، وتثبيت الأسماء الجديدة؟!

والمعلوم أن كل أسماء الأمكنة، إنما هي آرامية/ كنعانية، حتى أورشليم، فهو اسم آرامي، وليس بعبري. وكذلك التسمية السابقة يبوس، هي آرامية.

ومن المعلوم تاريخياً أن كنعان كانت أرضاً حضارية، في الوقت الذي لم تكن فيه عسير كذلك!! فأريحا على سبيل المثال من أقدم المدن في العالم، إن لم نقل أقدمها (راجع بلادنا فلسطين - مصطفى مراد الدباغ - الجزء الثامن - القسم الثاني- صفحة 538 وما بعد. وكذلك الجزء الأول). كما يذكر مصطفى مراد الدباغ في كتابه بلادنا فلسطين- الجزء الأول - القسم الأول - صفحة 579 وما بعد: أن اليهود تعلموا حياة الاستقرار والزراعة من الكنعانيين، وكذلك الصناعة مثل صناعة الخبز على التنور وصناعة اللباس والبناء... كما تعلموا منهم الموسيقى والشعائر والطقوس الدينية والأعياد.... أي بمعنى آخر علم الكنعانيون اليهود، التمدن والثقافة والحضارة.

فاليهود الدخلاء على فلسطين والمنطقة كلها, وهم كقبيلة رعوية كانوا متخلفين وجهلة، وقد أخذوا من الكنعانيين، ومن الشعوب المتحضرة، وليس العكس أبداً، فهم لم يعطوا شيئاً. فقد كانوا عالة على الآخرين.

والعهد القديم كله زيف، ولا يمكن جعله قاعدة لينطلق منها المفكر للبحث. كما أن تلك القبيلة اليهودية مجهولة الهوية والنسب, فمن هم اليهود؟!

حتى الآن لم يقدم المؤرخون شيئاً علمياً ومنطقياً حولهم. فمنهم من يقول:

أصولهم من أور كلدان (إبراهيم). ومنهم من يجعلهم آراميين. ومنهم من يقول هم من بقايا الهكسوس، أو من الفرس، أو شعب من شرق آسيا. ومنهم من ينسبهم إلى شمال شبه الجزيرة, أو إلى مصر، أو إلى شمال إفريقيا...

وهذه القضية تحتاج إلى دراسة علمية تستند إلى الآثار والوثائق.

www.alkottob.com

وهناك نقطة أخيرة نحب أن نشير إليها، وهي ليست بعلمية، ولكن بناء على أطروحات عسير، يمكن طرحها:

لم لا نقول: اليهود كقبيلة متجولة، مرت بفلسطين, ثم مرت بعسير، واستقرت فيها، فبنت قرى، وأسقطت عليها أسماء المدن والقرى التي التقطتها من فلسطين، وكذلك أسقطت أسماء الجبال والوديان والسهول؟!

وبعد فترة من الاستقرار، وكنتيجة للاحتكاك والتعلم، فكر بعض المتعلمين، بتأليف كتاب عن تاريخ تلك العشيرة، كنحميا وعزرا. فصاغوا تلك الأسطورة بالاعتماد على الأساطير التي عرفوها ممن حولهم. وفي الأسطورة يختلط الواقع بالخيال، وتزور الأحداث وشخصيات الزعماء لإعطائها هالة كبيرة، على غرار الأساطير. كما حصل خلط لأسماء الشعوب والأماكن والأشخاص. وأقحمت الآلهة كطرف مع البشر على نمط الملاحم.

وكل هذا يمكن فهمه واستيعابه، كمفهوم للأسطورة في تلك العصور.

ومن ثم يمكن المتابعة عن الرحيل من عسير نتيجة الخراب (الطبيعي أو الابتعاد والإهمال أو بفعل الغزو الخارجي). وبقيت تلك النسخ المكتوبة معهم. وفيما بعد، عندما جاء الكتبة الاثنان والسبعون لكتابتها باليونانية، جمعوا النسخ وعدلوها / إضافة، حذفاً، تغييراً/ بما يناسب السياق العام ومن وجهة نظرهم فكان ذلك: العهد القديم!!

د. أحمد داود يسير على نهج الدكتور كمال الصليبي، وهو يشير في هامش نهاية كتابه صفحة 815 "تاريخ سوريا القديم" إلى صدور كتاب كمال الصليبي، ولكنه ينفي العلاقة به أو الاطلاع عليه.

فهو ككمال الصليبي ينقل جغرافية العهد القديم من فلسطين إلى الجزيرة العربية. ويقول: لقد تمت عملية تزوير كبيرة كما جاء في الصفحة 637: (تم تأليف مجموعة الأسفار أو الكراريس باللغة اليونانية، وزعم أنها كانت ترجمة عن الأصل، ثم بدأت عملية نقلها إلى اللغات الأخرى، مضيفة تغييراً في حقيقة الأسماء والمواقع إلى كل عمليات التزوير التي أخضعت لها "السبعونية" في تلك الأسماء والمواقع منذ البداية).

جاء في كتابه "تاريخ سوريا القديم" صفحة 464:

(إن القبائل التي دعيت بالعبرانية لم تكن إلا عشائر بدوية عربية آرامية وإن إبراهيم الخليل وأولاده وأحفاده ليس إلا أحد الفروع العربية الآرامية. ثم إن التوراة بكل قصصها وأمثالها وحكمها وأناشيدها ومزاميرها ليست إلا تسجيلاً خطياً لبعض التراث العربي الكبير الشفوي والمكتوب الذي كانت تزخر به الساحة العربية كلها)... (وقد أثبت ذلك مكتشفات مكتبة أوغاريت ومكتبة آشور بانيبال ورسائل تل العمارنة وغيرها...).

وفي صفحة 814- 815 يقول:

(إن التوراة بكل محتوياتها هي نتاج عربي، بقصصها، وأدبها، وأشخاصها، وأبطالها، وجغرافيتها، وعلى المثقفين العرب أن يعمدوا إلى دراستها وتنقيتها من كل عمليات الخلط والتبديل والتزوير، وإرجاع كل نص إلى أصله بدءاً من نظرية التكوين، ومروراً بقصة الطوفان، ثم بالأمثال، وبالحكم، وبالأناشيد، وبقصة أيوب، وبالأنساب، وبالمزامير، التي هي في مجملها تراث عربي سوري).

www.alkottob.com

ويقول في صفحة 468:

(إن أرض كنعان التي تحدثت عنها مدونات التوراة هي ذلك الحيز الضيق ما بين جنوبي بلاد الزهران في منطقة الليث وبلاد غامد في المنطقة ذاتها والتي لا يتجاوز طولها عشرين كيلو متراً، كما لا يتجاوز عرضها عشرة كيلو مترات على الساحل الشرقي للبحر الأحمر، ولم تكن في يوم من الأيام في فلسطين أو غير فلسطين).

وفي الصفحة 722 يقول:

(أرض كنعان هي من جبل جاد في لبنان شمال جذانة في بلاد غامد إلى جنوب بني سار في بلاد زهران، والآشوريون هم سكان "آ_ شور" أي "بني شور" التي هي الآن "بني سار" والقرى المحيطة بها، والحثيون هم سكان القرى المتاخمة شمالاً للكنعانيين، وفي أربع وحصرون وجوارهما، وهم فصائل من الكنعانيين، والحوريون هم سكان جبل عسير "أدوم" شرق زهران، والميتانيون هم سكان بلدة ميثانة وجوارها شرق زهران أيضاً. والمصريون هم سكان بلدة مصر والقرى التابعة لها: تحفنحيس، نوف، نو، فتروس وغيرها في غرب زهران، أما الفلستيون فهم سكان "فلسة" المجاورة للمصريين من الغرب وللكنعانيين عموماً من الجنوب الشرقي. واسمهم في مدونات التوراة "فلشتيم" وتعني "الفلستيين" وقد دمرت البراكين والزلازل هذه القرية قبل القرن الخامس قبل الميلاد).

وهو يؤكد أن بابل التوراتية غير بابل العراقية، فتلك بابلون في جزيرة العرب، ونبوخذ نصر وكيل على الطرق التجارية للقوافل، والسبي كان إلى محطته وليس إلى بابل العراقية.

ويذكر أن الاثنين والسبعين كاهناً الذين ترجموا التوراة إلى اليونانية في اثنين وسبعين يوماً، هم الذين زوروا الأحداث التاريخية القديمة، وجعلوها تجري على أرض فلسطين بدلاً من الجزيرة العربية.

ويذكر في الصفحة 496:

(أن سانخونياتن البيروتي يقص، مع الحرص الكبير على الحقيقة، جميع ما له علاقة باليهود، لأنه لم يغير الأمكنة أو الأسماء). وقد قام فيلون الجبيلي (61- 141 م) بترجمته إلى اليونانية, ولكن مؤلفاته أحرقت وكذلك الترجمة.

ومرغوريوس كشف عملية التزوير الكبرى في التاريخ والجغرافية التي قامت بها الترجمة السبعونية للتوراة "راجع صفحة 509 من الكتاب المذكور".

وهذا ما ذهب إليه أيضاً في كتابه الآخر: "العرب والساميون والعبرانيون وبنو إسرائيل واليهود", فهو يقول في ص 91:

(إن علم الآثار قد قال كلمته الصريحة فيما يتعلق بأحداث مدونات التوراة وهي أنه لا وجود لهذه الأحداث آثارياً لا في فلسطين ولا في أية بقعة أخرى من الوطن العربي). ويقول في الصفحة 95:

(إن كتاب التوراة هو في مجمله لا يخرج عن إطار التراث العربي الذي كان يحفظ مدوناً في الذاكرة لعشائر عربية عاشت أحداثاً معينة في منطقة بدوية جد ضيقة من شبه جزيرة العرب).

www.alkottob.com

وفي كتاب آخر للد. أحمد داود واسمه "تاريخ سوريا الحضاري القديم" ، 1- المركز – دار المستقبل - دمشق – ط 1- ك 2- 1994, يذكر أن تزوير أحداث التوراة لأول مرة كان في عهد قسطنطين البيزنطي.

ويقول إن فلسطين اكتسبت هذا الاسم في القرن الرابع للميلاد في زمن قسطنطين. وقبلها لم تكن معروفة بهذا الاسم، فالمنطقة كلها كان اسمها سوريا. وفي زمن قسطنطين تم تزوير التوراة لأول مرة، لأن قسطنطين ادعى المسيحية بهدف استعمار فلسطين (وهذه الفكرة مكررة في كتابه الأول في الصفحة 492).

وأكثر من هذا: يرى أن المسيح أيضاً عاش في بلاد غامد في شبه الجزيرة العربية. وأن زمنه الحقيقي يعود إلى 360 سنة قبل التاريخ المتداول كما في ورد في الصفحة 548: (زمن المسيح حوالي 360 قبل التاريخ الشائع حالياً لميلاده). (وفكرة المسيح من الجزيرة وردت أيضاً في كتابه الأول صفحة 667). كما صارت هذه الفكرة محور كتاب "البحث عن يسوع" للد. كمال الصليبي.

إذاً د. أحمد داود ثبت جغرافية التوراة وتاريخيتها في الجزيرة. ولكنه خالف كمال الصليبي في نسبة الأحداث والشخصيات، وبالتالي يدعو إلى الغربلة والتنقيح والتصحيح.

ولم يدرس القضية كما نظرنا إليها قيمياً ومنطقياً. وهذا يجعلنا نؤكد لا أخلاقية التوراة والعهد القديم بكامله، سواء أكانت تلك الأحداث لآراميين أم يهود، وتلك الشخصيات آرامية أم غير آرامية. وسواء أكان ما حصل على أرض كنعان أم أرض عسير، يبقى المنهج الذي وضعناه صالحاً، ينطبق على مفهوم د. كمال الصليبي، و د. أحمد داود. وذلك لأن الوعد بالأرض بقي، وتفضيل الشعب المختار بقي، ولا أخلاقية الشخصيات بقيت. والتعديل الذي يطالب به د. أحمد داود لم يكتب بعد حتى نحكم عليه.

في عام 1993 صدر كتاب فراس السواح: "الحدث التوراتي والشرق الأدنى القديم", وهو يضع نظرية كمال الصليبي "في ميزان الحقائق التاريخية والآثارية" كما في العنوان.

وهو في نقده يريد أن يعيد أحداث التوراة والشخصيات إلى فلسطين تحت عباءة العلم، علم الآثار واللغات!!

جاء في نقده الأول لكمال الصليبي في الصفحة 15:

(بدلاً من أخذ جغرافية التوراة العبرية كمسلمة ومناقشة صحتها التاريخية، فإنه يأخذ تاريخيتها كمسلمة ويناقش جغرافيتها).

ولكن نحن لا تعنينا الدراسة من هذا الإطار، وإن كانت لها أهميتها الكبرى. لأن المنهج عندنا قائم على نقد النص الذي يؤمن به اليهود كدين لهم، مسلم به من عند الله. سواء أكان مزيفاً أم حقيقياً. وسواء أكان في كنعان أم عسير.

وعلى الرغم من ذلك، تمت الاستفادة من نتائج الدراسة بما يخدم إيماننا بتزييف النص وعدم مصداقيته. فقد جاء في الصفحة 137:

(فإننا نريد أن نوضح أمراً على غاية من الأهمية فيما يتعلق بتاريخ وآثار منطقة فلسطين. ذلك أنه سواء في بئر السبع أو غيره من المواقع القديمة في فلسطين، لا يمكن التمييز بين ما هو إسرائيلي وما هو كنعاني إلا اعتماداً على تأريخ المادة المكتشفة. ذلك أن الإسرائيليين القدماء خلال فترة حكمهم السياسي القصير في السامرة وأورشليم لم يتركوا بصمة مميزة على أي منحى من مناحي حضارة كنعان التي تضرب في

www.alkottob.com

جذورها إلى مطالع التاريخ، بل إنهم تشربوا تلك الحضارة وعاشوا كفئة كنعانية طورت تدريجياً مذهباً دينياً خاصاً انطلاقاً من الديانة الكنعانية ذاتها، فتبنوا الإله "إيل" رئيس مجمع آلهة كنعان وقرنوه بالإله "يهوه" فرفعوه إلهاً واحداً لهم، ودفعوا بالإله "بعل" إله الخصب الكنعاني القديم إلى مرتبة الشياطين، فصار "إبليس" الديانة اليهودية التي لم تأخذ ملامحها الثابتة في التوضح إلا بعد تحرير أسفار التوراة بدءاً من القرن السادس قبل الميلاد. ومنذ بناء هيكل الرب في أورشليم كانت الإلهة "عشيرة" زوجة "إيل" تعبد في الهيكل).

وجاء في الصفحة 196:

(وفي الحقيقة، لم يمكن حتى الآن العثور على أدلة آثارية تثبت رواية سفر التكوين، لأن تحركات الآباء كانت في حقيقتها تحركات قبلية قامت بها مجموعات متنقلة لم تعرف الاستقرار ولا سكن الحواضر. أما النصوص التاريخية, فصامتة تماماً عن هذا الموضوع، سواء في بلاد الرافدين وبلاد الشام أم في مصر التي رحل إليها يوسف بن يعقوب وصار هناك الوزير الأول للفرعون - حسب الرواية التوراتية - من هنا، فإن كل ما كتب، ويكتب اليوم، حول روايات الآباء في التوراة، هو محض تخيل وفرض...)، إلى أن يقول: (فقصص الآباء في سفر التكوين، رغم ترجيح وجود أساس واقعي لها، ليست إلا نوعاً من الملحمة البطولية).

وفي الصفحة 198 يلحق سفر الخروج بسفر التكوين:

(باعتباره استمراراً للقصص الملحمي التي لا تعتمد إلا القليل من الأحداث التاريخية الواقعية، فالسفر، كسابقه، مليء بالتهويلات الملحمية، كقصة ولادة موسى وحياته، والأوبئة العشرة التي حلت بفرعون وأهل بيته وكل شعبه، وعبور البحر، وقتال العماليق، وبقاء ثياب الهاربين جديدة لا تبلى، وغير ذلك من الأحداث.

أما عن دخول بلاد الشام وعبور نهر الأردن إلى أرض كنعان، فإن نتائج التنقيب الأثري تشير إلى بطلان الرواية التوراتية في كثير من أحداثها).

وفي الصفحة 200 يقول:

(وخلاصة القول في موضوع دخول كنعان، هو أنه لم يتوفر دليل تاريخي يثبت رواية التوراة).

وفي الصفحة 206 يتحدث عن المملكة المزعومة في التوراة، فيقول:

(أما من الناحية التاريخية، فلا يمكن التثبت من قيام المملكة الموحدة، ولا من وجود داود وسليمان، بسبب عدم تقاطع الأخبار التوراتية هنا مع أي نص تاريخي قديم. إلا أنه يمكن استنتاج قيام المملكة الموحدة، ووجود أساس تاريخي لسليمان وداود، وذلك من البينات التاريخية اللاحقة التي تثبت وجود مملكتي يهوذا وإسرائيل).

ويستنتج في صفحة 208:

(بناء على ما تقدم كله، نخلص إلى القول بأن كتاب التوراة قد ابتدأ بالأسطورة في مطلع سفر التكوين، حيث جاء بعدة أساطير تنتمي إلى النسق الميثولوجي السوري- البابلي. ثم انتقل إلى السرد الملحمي الذي

www.alkottob.com

يعتمد أحداثاً مغرقة في القدم تختلط بالخرافة وتحيط بها هالات البطولة والمعجزة، بطريقة يصعب معها تبين الخط الفاصل بين الحقيقة والخيال. بعد ذلك أخذ الخيط التاريخي يتوضح تدريجياً بين الخيوط المتشابكة للسرد الملحمي، حتى توصل محررو التوراة إلى محاولة ناجحة جزئياً للتوثيق التاريخي، يجب التعامل معها بحذر بسبب انتقائيتها وتدخل أهواء أصحابها).

ففراس السواح في كتابه ذاك، يصر على جغرافية التوراة في أرض فلسطين، مع عدم التسليم المطلق بتاريخيتها. لذا يرفض أحداثاً لا تتقاطع مع أحداثٍ أخرى ثبتت صحتها. وقد مرت معنا في كتابيه (مغامرة العقل الأولى، لغز عشتار) محاولته إعادة الكثير من أخبار التوراة وأحداثها، إلى الشعوب القديمة التي عاشت في كنعان، وسورية، وبلاد ما بين النهرين، ومصر.

* * *

www.alkottob.com

الملحق الثاني: اليهودية المسيحية

هناك اتجاه يعد المسيحية الحقة ألغت العهد القديم كله، ولا علاقة لها مطلقاً بالدين اليهودي. وهي تبني رأيها بالاستناد إلى بولس الذي هو أبو المسيحية الصحيحة، وعلى أساس إنجيل يوحنا الذي كتب للأمم كلها. بينما الأناجيل الثلاثة المتفقة، خطابها لليهود (متى ليهود فلسطين - مرقس لليهود المسيحيين الرومان - لوقا لليهود المسيحيين اليونان). والذين ضموا العهدين هم اليهود، وديانتهم هي اليهودية- المسيحية. (راجع كتاب: رد على التوراة: ندرة اليازجي ص 102)، وراجع (رد على اليهودية واليهودية المسيحية) للمؤلف نفسه. (وراجع أيضاً ما يقوله ول ديورانت في قصة الحضارة، المجلد السادس- عصر الإيمان ص 269: حول فصل بولس المسيحية عن اليهودية).

وقد جاء في الصفحة 292- 293 في المجلد نفسه من قصة الحضارة، أن مرسيون وهو من أهل سينوب جاء إلى روما عام 140 م بهدف تخليص المسيحية من اليهودية، وكان مما قاله مرسيون: (إن المسيح حسب رواية الأناجيل، قد قال إن أباه إله رحيم، غفور، محب، على حين أن يهوه كما يصفه العهد القديم، إله غليظ القلب، صارم في عدله مستبد، إله حرب، ولا يمكن أن يكون يهوه هذا أباً للمسيح الوادع)، (إن الأخيار هم الذين يفعلون ما فعله بولس فينبذون يهوه والشريعة اليهودية، ويرفضون الكتب العبرانية المقدسة).

ويستنكر جورجي كنعان هذا الضم الذي جعل المسيحي مؤمناً بالعهد القديم إيمانه بالعهد الجديد، وينشأ المسيحي: (وفي نفسه اعتقاد قوي جازم أن "العهد القديم" أي التوراة كتاب مقدس وأن المسيح يهودي جاء يكمل ما بدأه أنبياء التوراة وأن المسيحية شديدة الارتباط باليهودية أو قل هي استمرار لها) (أمجاد إسرائيل في أرض كنعان: جورجي كنعان - ص 25). وهو يؤكد كلامه في كتابه الآخر(وثيقة الصهيونية في العهد القديم – ص 12).

ويذكر روجيه غارودي في كتابه "فلسطين أرض الرسالات السماوية" أن مارسيون 144م: اتهم المسيحيين بتزوير نص الإنجيل الأصلي لمتى (ما جئت لأنقض بل لأكمل)، وأن النص الأصلي لمتى (لم آتِ لأكمل العهد بل لأنقضه). وهو يعتمد على ما جاء في إنجيل لوقا ورسائل القديس بولس. ويصل إلى نتيجة مفادها أن الإنجيل حل مكان شريعة موسى.

وجاء في دائرة المعارف الكتابية، مادة "أبو كريفا" أن هناك إنجيلاً غير معترف به:

(إنجيل ماركيون: واضح أن الهدف من هذا الإنجيل كان معارضة الأناجيل الأرامية. كان ماركيون من مواطني بنطس وابنا لأحد الأساقفة، استوطن روما في النصف الأول من القرن الثاني، وأسس مذهباً معارضاً لليهود، ولم يعترف إلا برسائل بولس....

رفض ماركيون العهد القديم بأجمعه، ولم يستبق من العهد الجديد سوى إنجيل لوقا، على أساس أنه من مصدر بولسي، بعد حذف الأجزاء التي تستند إلى العهد القديم، كما استبقى عشر رسائل من رسائل بولس بعد حذف الرسائل الرعوية).

www.alkottob.com

لقد ظهرت أصوات كثيرة دعت لفصل العهد القديم عن العهد الجديد, لأن العهد الجديد ألغى العهد القديم. بل وأكثر من هذا، منها ما اتهم مسيحية أوروبا بأنها تهودت!

وقد بات معروفاً أن هناك اتجاهات مسيحية أوروبية وأمريكية، متطرفة ترى ضرورة تأييد اليهود ودعمهم ومساندتهم، لتحقيق الدولة التوراتية، لأنها مشيئة الله وإرادته، ولأنها تعجل مجيء المسيح!!

ولنقرأ بعض مقدمات الأسفار في الكتاب المقدس، الطبعة الكاثوليكية، لنرى المديح اللا محدود لليهود:

التعليق على مجازر يشوع صفحة 360 بما يلي:

(ستجري على يديه معجزات عظيمة كاجتياز الأردن على اليبس مثلما اجتاز موسى البحر الأحمر، وكسقوط أسوار أريحا وتمديد نور الشمس، فذلك سوف يضع هالة من نور على عمله، وكان الشعب حينذاك أميناً للغاية نحو يهوى، فدخل يشوع على رأس هذا الشعب أرض الميعاد، أمنيتهم القديمة، واحتلها، وأسكن الأسباط داخل حدودهم الشرعية)!!

وجاء في مقدمة سفر التكوين صفحة 7 عن الوعد:

(وإن كان موضوع الوعد المباشر هو امتلاك البلاد التي عاشوا فيها فما ذلك سوى الناحية المادية من الوعد الذي يعني وجود علاقات خاصة بين الله الواحد والشعب المكرس له)!!

وجاء في مقدمة سفر العدد عن ارتباط الله باليهود:

(ولكن الشعب المختار على الرغم من تقلباته ما زال موضوع رحمة الله وعنايته الخاصة)!!

وجاء في صفحة 3 حول تاريخ اليهود:

(وهذا التاريخ المقدس هو كختم إلهي موضوع على الشريعة التي يحكم بها الله شعبه)!!

كما جاء في مقدمة أسفار الملوك:

(إن هذا السفر هو ديني على قدر ما هو تاريخي، ويعرض الأحداث حسب المخطط الإلهي فيبرز دور يهوى "يهوه" في تدبير الحوادث. فالله قد هدى صموئيل في جميع تصرفاته، ونبذ شاول واختار داود اختياراً غير مألوف عند الناس فرفعه وعاقبه عندما أخطأ، ثم احتفظ به مسيحاً له)!!

وجاء في مقدمة المزامير ما يلي:

(إن المزامير والأناشيد الأخرى الداخلة في العهد العتيق تتمتع بإنعام خاص يفوق كل ثمن وهو كونها صلاة موحاة. هذا ما جعلها منذ نشأة المسيحية تحتل مكاناً فريداً في عبادة المؤمنين وفي الكتب الطقسية)!!

ودائرة المعارف الكتابية تنظر إلى العهد القديم وخاصة التوراة، أي الأسفار الخمسة الأولى بأنها:

(كتب مقدسة منذ كتابتها، فقد أوحى الله بها إلى كاتبها وحفظهم من الخطأ فيما كتبوه، وقد اختارهم أناساً ذوي خبرات وخلفيات خاصة وشخصيات قوية تؤهلهم لتدوين ما يريده هو. كما أرشدهم أيضاً إلى ما يكتبون وأعلن لهم الكثير من الحقائق والأفكار الجديدة، ووجه نشاطهم وعملهم حتى لا يخطئوا في اختيار الكلمات الدقيقة للتعبير عن هذه الحقائق والتعاليم والأحكام...)!!

لذلك دائرة المعارف الكتابية تتحدث عن مجازر يشوع في أريحا وما بعدها، فتصفها بأنها حرب مقدسة:

www.alkottob.com

(يمكن تبرير ما حدث في المعارك المدونة بالسفر، من إبادة وتدمير، بأنها كانت حرباً مقدسة. فقد كان بنو إسرائيل أداة في يد الله لعقاب الشعوب الكنعانية، لأنهم كانوا قد أوغلوا في الشر، ولكي لا يكونوا شركاً لبني إسرائيل علاوة على أن المبادرة بالقتال كانت تأتي دائماً من جانب الشعوب الكنعانية. وكان على بني إسرائيل أن يواجهوا أولاً دعوة للمسالمة، ولكنها كانت تواجه بالرفض، ويبادرهم الكنعانيون بالحرب، وكان الذنب هو ذنب ملوكهم ورؤسائهم، ولكن كل ما حدث كان دليلاً على هيمنة الله على أحداث التاريخ، وهو ما يذكره الكتاب المقدس صراحة: "لأنه كان من قبل الرب أن يشدد قلوبهم حتى يلاقوا إسرائيل للمحاربة فيحرَّموا، فلا تكون عليهم رأفة، بل يبادون كما أمر الرب موسى" "يشوع 11: 20"، كما حدث مع فرعون "خروج 7: 3 و 13 و 22 و 8: 15 إلخ". وفي تلك الأحداث نرى مسئولية الإنسان وسلطان الله المطلق يسيران معاً)!!

إن التوراة تخبرنا بأن بني إسرائيل هم الذين جاؤوا من مصر إلى أرض كنعان ليغزوها، وليقتلوا أهلها، وليسكنوا مكانهم!؟ فكيف يكون الكنعانيون هم مبادرين إلى القتال! وما معنى المسالمة!؟ هل يتخلى الكنعانيون عن أرضهم، ويسلمون رقابهم للإبادة؟! والموسوعة الدينية تقول إن الله أراد أن يعاقب الكنعانيين لأنهم أوغلوا في الشر، وهذا يعني أن بني إسرائيل جاؤوا لينفذوا عقاب الله؟! فكيف يكون الكنعانيون هم معتدين؟!

والسؤال الأخير هو: لماذا غضب الله على الكنعانيين لأنهم أوغلوا في الشر, ولماذا لم يغضب على شعوب كثيرة كانت أكثر شراً من الكنعانيين، بل لماذا لم يغضب وينزل العقاب على بني إسرائيل أنفسهم؟! وقد ذكرت التوراة الشرور الكثيرة التي ارتكبوها، بل وعبدوا الأوثان كالعجل الذهبي، وعصوا إلى أقصى درجات العصيان؟! والعجيب في الأمر أن بني إسرائيل كشعب مختار وبحسب النص، يبقى تعذيب يهوه لهم كما في سفر الخروج، والأسر في سفري إرميا وأشعيا، تطهيراً لهم من ذنوبهم وآثامهم، ليبقوا دائماً شعب الله المختار. فلم لم يكن يهوه هكذا مع بقية الشعوب إن كان عادلاً؟!

إن الإنسان الفلسطيني ظلمه التاريخ، ظلمه العالم، ظلمه الدين بصيغته التوراتية، وكان من المفترض أن يكون الدين عزاء للمعتدى عليه.. أن يجد فيه المظلوم السلوى والراحة... لكن الدين المنسوب زوراً إلى الله العادل، ساهم في اغتصاب أرضه، ووسم أجداده بالوثنية، ليبرر جرائمه!! ولكن الحقيقة بالضبط هي أن اليهود أرادوا الاستيلاء على أرض كنعان، فسرقوا تراث المنطقة وصاغوا كتابهم بروحهم اليهودية العنصرية، ليخدم تلك الغاية.

وهنا تسقط نسبة الدين اليهودي إلى الله، وتسقط صفات الحق والخير والعدل والمحبة والكمال عن النص، وعن إله ذاك النص.

* * *

www.alkottob.com

المصادر والمراجع

1- الكتاب المقدس (كتاب العهد القديم والعهد الجديد) - جمعيات الكتاب المقدس المتحدة – بيروت - المطبعة الأميركانية 1958. والترجمة مقبولة، لكن أسلوبها سيئ جداً.

2- الكتاب المقدس (العهد العتيق- العهد الجديد) - منشورات دار المشرق ش م م - التوزيع المكتبة الشرقية 1987 - المطبعة الكاثوليكية ش ل م 1987. والترجمة غير دقيقة، أما الأسلوب فهو مقبول.

3- الكتاب المقدس مع ترجمة KJV- Multimedia Cd-Rom - دار الكتاب المقدس- وقد اعتمد عليه في نقل النصوص الطويلة. ولا سيما في فصل: لا أخلاقية شخصيات العهد القديم.

4- الإيديولوجية الصهيونية: د. عبد الوهاب محمد المسيري - عالم المعرفة – الكويت - حزيران 1988 - الطبعة الثانية (60- 61).

5- البنية الذهنية الحضارية في الشرق المتوسطي الآسيوي القديم: يوسف الحوراني - دار النهار للنشر - بيروت 1978.

6- التلمود تاريخه وتعاليمه: ظفر الإسلام خان - دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت - الطبعة الأولى 1971.

7- التوراة جاءت من جزيرة العرب: د. كمال الصليبي - ترجمة عفيف الرزاز - مؤسسة الأبحاث العربية ش.م.م - الطبعة العربية الثانية 1986.

8- التوحيد في تطوره التاريخي (التوحيد يمان): ثريا منقوش - دار الطليعة – بيروت - الطبعة الأولى 1977.

9- التوراة بين الوثنية والتوحيد: سهيل ديب - دار النفائس – بيروت - الطبعة الأولى 1981.

10- التوراة تاريخها وغاياتها: ترجمة وتعليق سهيل ديب - دار النفائس – بيروت - الطبعة الثالثة 1980.

11- الحدث التوراتي والشرق الأدنى القديم (نظرية كمال الصليبي في ميزان الحقائق التاريخية والآثارية): فراس السواح - دار علاء الدين – دمشق - 1993- الطبعة الثانية.

12- الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية: د. رشاد عبد الله الشامي - عالم المعرفة – الكويت - حزيران 1986 (102).

13- الصهيونية غير اليهودية جذورها في التاريخ الغربي: د. ريجينا الشريف - ترجمة أحمد عبد الله عبد العزيز - عالم المعرفة – الكويت - كانون الأول 1985 (96).

14- الطوطم والتابو: سيغموند فرويد - ترجمة بو علي ياسين - دار الحوار – اللاذقية, سوريا - الطبعة الأولى 1983.

15- العرب والساميون والعبرانيون وبنو إسرائيل واليهود: د. أحمد داود - دار المستقبل – دمشق - الطبعة الأولى كانون الثاني 1991.

www.alkottob.com

16- الغصن الذهبي (دراسة في السحر والدين): سير جيمس فريزر - ترجم بإشراف الدكتور أحمد أبو زيد - الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر – 1971.
17- المعجم الأدبي: د. جبور عبد النور - دار العلم للملايين – بيروت - الطبعة الأولى 1979.
18- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام: د. جواد علي - دار العلم للملايين – بيروت - مكتبة النهضة – بغداد - الطبعة الأولى - بيروت 1970.
19- الملل والنحل: أبو الفتح محمد عبد الكريم ابن أبي بكر أحمد الشهرستاني - تحقيق عبد العزيز محمد الوكيل - مؤسسة الحلبي وشركاه - القاهرة 1986. مكتبة العقائد والملل CD Rom - مركز التراث لأبحاث الحاسب الآلي - الأردن 1999.
20- الموسوعة العربية الميسرة - دار الشعب القاهرة ومؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر - بإشراف محمد شفيق غربال - الطبعة الثانية 1972.
21- أساطير الحب والجمال عند اليونان: دريني خشبة - دار التنوير للطباعة والنشر- بيروت - الطبعة الأولى 1983.
22- إمبراطورية الخزر وميراثها (القبيلة الثالثة عشرة): آرثر كوستلر - ترجمة: حمدي متولي مصطفى صالح - منشورات دار فلسطين المحتلة "لجنة الدراسات الفلسطينية".
23- أمجاد إسرائيل في أرض فلسطين: د. جورجي كنعان - دار الطليعة – بيروت - الطبعة الأولى 1978.
24- بلادنا فلسطين: مصطفى مراد الدباغ - دار الطليعة – بيروت - الطبعة الثانية 1973 - الجزء الأول.
25- تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم: محمد عزة دروزة - منشورات المكتبة العصرية - صيدا 1969.
26- تاريخ سوريا القديم (تصحيح وتحرير): د. أحمد داود - دار المستقبل - دمشق "سلسلة سوريا وعودة الزمن العربي" الكتاب الأول - طبعة أولى 1986.
27- تاريخ فلسطين القديم: ظفر الإسلام خان - دار النفائس – بيروت - الطبعة الثالثة 1981.
28- تعدد الأديان وأنظمة الحكم: جورج قرم - دار النهار للنشر – بيروت – 1979.
29- جذور القضية الفلسطينية: د. أميل توما - دار الجليل - عن منظمة التحرير الفلسطينية دائرة الاعلام والثقافة – دمشق - الطبعة الثالثة 1984.
30- جلجامش "كنوز الأعماق، قراءة في ملحمة جلجامش": فراس السواح - الطبعة السورية بإشراف العربي للطباعة والنشر والتوزيع – دمشق - الطبعة الأولى 1987.
31- دائرة المعارف الكتابية - دار الثقافة- CD Rom
32- رد على التوراة: ندرة اليازجي - طلاس للدراسات والترجمة والنشر – دمشق - الطبعة الثانية 1984.
33- رد على اليهودية واليهودية المسيحية: ندرة اليازجي - طلاس للدرسات والترجمة والنشر – دمشق - الطبعة الثانية 1984.

www.alkottob.com

34- سلسلة 2000 للبرامج التعليمية - (الجزء 23) CD Rom: (الكامل في التاريخ: لابن الأثير)، (تاريخ ابن خلدون).

35- قصة الحضارة: ول ديورانت - ترجمة محمد بدران - دار الجيل – بيروت - 1988- جامعة الدول العربية - المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.

36- لغز عشتار (الألوهة المؤنثة وأصل الدين والأسطورة): فراس السواح - سومر للدراسات والنشر والتوزيع- قبرص - الطبعة الأولى 1985.

37- ما قبل الفلسفة (الإنسان في مغامرته الفكرية الأولى): هـ. فرانكفورت - هـ. 1. فرانكفورت – جون 1. ولسن - توركيلد جاكبسون - ترجمة: جبرا إبراهيم جبرا - المؤسسة العربية للدراسات والنشر – بيروت - الطبعة الثانية 1980.

38- معالم تاريخ الإنسانية: هـ.ج. ولز - ترجمة: عبد العزيز توفيق جاويد - مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر – القاهرة - المجلد الأول - الطبعة الثانية - المجلد الثاني - الطبعة الأولى 1956.

39- مغامرة العقل الأولى: فراس السواح - اتحاد الكتاب العرب - دمشق - الطبعة الأولى 1976.

40- مكتبة التاريخ والحضارة الإسلامية CD Rom - مركز التراث لأبحاث الحاسب الآلي – الأردن – 1999. وفيها مجموعة من الكتب التاريخية الأساسية.

41- موسى والتوحيد: سيغموند فرويد - ترجمة: جورج طرابيشي - دار الطليعة – بيروت - الطبعة الأولى 1973.

42- وثيقة الصهيونية في العهد القديم: د. جورجي كنعان - توزيع دار النهار للنشر – بيروت - الطبعة الثانية 1982.

* * *

النهاية

www.alkottob.com